حِكَايَةُ الحَالِ بَيْنَ ضَابِطِ الصّنَاعَةِ وَدِلَالَةِ المَعْنَى

دِرَاسَةً نَحْوِيَّةً قُرْآنِيَّةً

إعداد

أحمد سعد عبد الحميد

مدرس اللغويات في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة

حِكَايَةُ الحَالِ بَيْنَ ضَابِطِ الصّنَاعَةِ ودِلَالَةِ المَعْنَى دِرَاسَةً نَحْوِيَّةً قُرْآنِيَّةً

أحمد سعد عبد الحميد.

تخصص اللغويات، قسم اللغة العربية وآدبها، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر.

البريد الإلكتروني:aabdalhmed@ut.edu.sa

الملخص :

يَهْدِفُ البَحْثُ إلى دِرَاسَةِ الأثرِ المعنوِيّ للتأويلِ بحِكَايةِ الحَالِ، وأثَرِ ذلك في تَوجِيهِ الحُكْمِ النَّحْوِيّ، ومَوقِفِ النَّحْوِيينَ مِنْه. وقد حاولَ البَاحِثُ مِنْ خِلَالِ هذه الدِّرَاسَةِ اسْتِقْصَاءَ المَوَاضِعِ التِي وَرَدَ فيها التَّأوِيلُ بحِكَايَةِ الحَالِ في الأبْوَابِ النَّحْوِيَّةِ، وشَوَاهِدِهَا مِن القُرْآنِ الكَرِيمِ، ودِرَاسَتِهَا؛ للوُقُوفِ عَلَى هذه الآثَارِ، ومَعْرِفَةِ صُوَرِهَا. وقد اعتَمَدَ البَحْثُ عَلَى المَنْهَجِ الوَصْفِيّ القَائِمِ عَلَى جَمْعِ مَوَاضِعِ التَّأوِيلِ بِحِكَايَةِ الحَالِ في كُتُبِ النَّحْوِ في عُصُورِهِ المُخْتَلِفَةِ ومَدَارِسِهِ المُتَعَدِّدَةِ، ودِرَاسَتِهَا مُحَاوِلًا التّطبِيقَ عَلَى مَوَاضِعِهَا في القُرْآنِ الكَرِيمِ.

ومِنْ أهَمّ نَتَائِجِ البَحْثِ: التّأكِيدُ عَلَى أنَّ حِكَايَةِ الحَالِ بِنَوعَيْهَا المَاضِيَةِ والمُسْتَقْبَلَةِ ثَابِتَةٌ في القُرْآنِ الكَرِيمِ وكَلَامِ العَرَبِ، وأنَّ حِكَايَةَ الحَالِ كانَ لَهَا أثرٌ في تَوجِيْهِ الحُكْمِ النَّحْوِيّ، وذلك بِنَاءً عَلَى الأَثَرِ المَعْنَوِيّ الذي تُلْحِقُهُ بالتَّركِيبِ، وأنَّ حِكَايةَ الحَالِ لَونٌ مِنْ أَلْوَانِ المَجَازِ اللغَوِيّ ولِهَذا يَضْعُفُ الاحْتِجَاجُ بِهَا إذا انْضَافَ إليهَا مَجَازٌ آخَرُ، وأنَّ أكْثَرَ ما وَرَدَ مِنْ مَوَاضِعِهَا كانَ في الأفْعَالِ، وما يُشْبِهُهُا، ولم يَرِدْ مِنْهَا في الأسْمَاءِ إلَّا مَوضِعٌ وَاحِدٌ – فِيْمَا وَقَفْتُ عَلَيهِ –.

الكلمات المفتاحية: حِكَايةُ الحَالِ، الصِّنَاعَةِ النَّحْوِيّةِ،دِلَالَةُ المَعْنَى.

The Story of Circumstance in Between The Structuring sStandards and The Significance of Connotation

A Qur'anic and Syntactic Study

Ahmed Saad Abdul- Hameed

Department of Linguistics, Arabic Language and Literature, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Cairo,Azhar University

Abstract:

This research aims at studying the meaningful impact of interpretation through the story of circumstance and how it influences the syntactic provision as well as displaying the grammarians' attitude towards this issue. Along this research, the researcher traces the places where the story of circumstance is utilized in the interpretation of the chapters assigned to syntax, and further instances were derived from the Holy Qur'an for the sake of study, specifying their impact and the common forms. The research relies on the descriptive approach which is based upon finding the places of interpretation where the story of circumstance is utilized in the books of syntax from different ages and various schools. At first, the researcher studies these examples then tries to apply the theory regarding their places in the Holy Qur'an. One of the findings of this research is that the story of circumstance- in its two forms; past and future, constantly exists in the Holy Qur'an and the speeches of the Arabs. Moreover, the story of circumstance influences the syntactic provisions according to the meaningful impact connected to the structure. In addition, the story of circumstance is a figure

of speech that turns out to be weak when another figure of speech is connected to it. The most recurring places where the story of circumstance is utilized are connected to verbs or the like. As for the nouns, the researcher has found a clue in just one place.

Keywords: the story of circumstance- the syntactic structuring- the meaningful connotation.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدّمَةُ

الحَمْدُ لله عَلَى تَوَالِي نِعَمِهِ وآلَائِهِ، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ علَى خَيْرِ خَلْقِهِ وخَاتَمِ أنبيَائِه سَيِّدِنَا محمد وعَلَى آلِهِ وأصْحَابِهِ، صَلاةً وسَلامًا لا يُحْصَى عَدَدُهُمَا ولا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُمَا إلى يَومِ لِقَائِهِ.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإنَّ الحِكَايةَ تَأْتِي في كَلامِ النَّحْوِيينَ عَلَى وجهَيْنِ: حِكَايةِ اللفظِ، وحِكَايةِ المَعْنَى.

أما حكايةُ اللفظِ، فهي: إيْرَادُ المَرْءِ لَفْظَ المُتَكَلِّمِ علَى حَسَبِ ما أوْرَدَهُ في الكَلَامِ[1]، بِلا تَغييرٍ أو تَبْدِيلٍ، مهْمَا تَوَارَدَتْ علَى المَحْكِيّ العَوَامِلُ، وهذا النَّوعُ قد حَظِيَ بعنَايَةِ النَّحْوِيينَ بَدْءًا مِنْ إمَامِهِم سيبويه[2]، فأفرَدُوا لَهَا أبوابًا في كُتُبِهِم، وجَمَعُوا أحْكَامَهَا، وحَرَّرُوا مَسَائِلَهَا.

---

(1) ينظر في تعريف الحكاية: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ١٣٥/٢ ارتشاف الضرب لأبي حيان الأندلسي ٦٨٠/٢ تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش ٤٥٣٥/٩ المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي ٣٢١/٦ شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي ٣٠٠ ت د/ المتولي رمضان الدميري.

(2) عقد لها سيبويه بابا في كتابه بعنوان (هذا باب الحكاية التي لا تُغيَّرُ فيها الأسماءُ عن حالها) الكتاب ٣٢٦/٣ وعُقِدَ لها بابٌ أيضًا في المقتضب ٣٠١/٢، ٣٠٥ الأصول في النحو ١٠٤/٢ شرح المفصل لابن يعيش ١٤/٤ شرح الجمل لابن عصفور ٤٧٠/٢ شرح الكافية الشافية لابن مالك ١٧١٧/٤ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ٢٤٨ وشروحه: المساعد ٢٨٥/٣ تمهيد القواعد ٤٥٣٥/٩ ألفية ابن مالك (باب الحكاية) ==

وأمَّا حِكَايةُ المَعْنَى، والمُرَادُ بها (حِكَايةُ الحَالِ) فكَانتْ دُوْنَ ذلك، حيثُ جَاءَتْ مَسَائلُهَا مُتَفرّقَةً في أبْوَابٍ مُتَعَدّدَةٍ.

وكانَ مِنْ شَأنِي مَعَ هذا المَوضُوعِ أنَّ ما أثَارَ انتِبَاهِي له مَا وَجَدْتُه مِنْ كَلَامِ النَّحْوِيينَ في مَعْرِضِ حَدِيثِهم عَنْ إعْمَالِ اسْمِ الفَاعِلِ المُجَرَّدِ مِنْ (ال)، واشتِرَاطِ الجُمْهُورِ في إعْمَالِهِ أنْ يَكُونَ بمَعْنَى الحَالِ أو الاسْتِقبَالِ، ومُخَالَفَةِ الإمَامِ الكِسَائِيّ لَهُم في هذا الشَّرْطِ، حيثُ أجَازَ إعْمَالَه بمَعْنَى المَاضِي أيضًا اسْتِدْلَالًا بقولِهِ تعالى:﴿ **وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ** ﴾ [1] وتأويلِ الجُمْهُورِ لِهَذَا الاستِدْلَالِ بأنَّه (حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ)، ثم ما قالَه ابنُ أبي الرَّبِيعِ(٦٨٨هـ) مُقَرّرًا لِتَوجِيْهِ الجُمْهُورِ ومُرَجّحًا له:" وإذا تَتَبَّعْتَ حِكَايَةَ الحَالِ في كَلَامِ العَرَبِ وَجَدتَهَا كثيرةً مُتَّسِعَةً، فالحَمْلُ عليها أوْلَى"[٢]

وزَادَ مِنْ شَغَفِي به أنَّ جَمَالَ الدّينِ بنَ هِشَامٍ (٧٦١هـ) أفرَدَ لهَا في قَوَاعِدِه التي ذَكَرَ فيها أُمُورًا كُلِّيَّةً يَتَخَرَّجُ عليها ما لا يَنْحَصِرُ مِنَ الصُّوَرِ الجُزْئِيَّةِ[٣]، لكنَّه اكتَفَى بذِكرِ شَوَاهِدَ وأمْثِلَةٍ لَهَا فقط.

فَتَوَجَّهَ القَصْدُ إلى إجَابَةِ الدَّعْوَةِ وتَلْبِيَةِ النِّدَاءِ وأنْ أتتبَّعَ هذه المَسَائلَ في أبْوَابِهَا وأجْمَعَهَا مِنْ مَظَانّهَا- ما استَطَعْتُ إلى ذلك سَبِيلًا-، وأتَنَاوَلَها

==

وشروح الألفية: شرح ابن الناظم ٥٢٩ شرح ابن عقيل ٨٥/٤ المقاصد الشافية ٣٢١/٦ التصريح بمضمون التوضيح ٥٣٢٣/٤ شرح الأشموني ١٢٧/٤.

([1]) سورة الكهف آية ١٨.

([٢]) البسيط ١٠١٣/٢.

([٣]) وهي القاعدة السادسة ، ينظر مغني اللبيب ٦٩١/٦ .

بالبَحْثِ والدِّرَاسَةِ، وأُبرِزَ أثرَهَا في تَوجِيهِ الحُكْمِ النَّحْوِيّ، إلى جَانِبِ الأثَرِ المَعْنَوِيّ الذي يَلْحَقُ الجُمْلَةَ.

ولَمَّا كانَتْ فَاتِحَةُ المَوْضُوعِ لي ومُرْشِدَتِي إليه آيَةً كَرِيمَةً رَغِبْتُ في أنْ يَكُونَ القُرْآنُ الكَرِيمُ مَيْدَانًا تَطْبِيقِيًّا لِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ، وأنْ أجْمَعَ إلى الآيةِ الكَرِيمَةِ نَظَائِرَهَا في حِكَايَةِ الحَالِ؛ التِمَاسًا لِبَرَكَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وانتقالًا بالقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ إلى نَصٍّ تَطْبِيقِيٍّ أرْحَبَ، هوأصْلٌ منْ أصُولِ النَّحْوِ السّمَاعِيَّةِ. ولَا أزْعُمُ أنَّنِي قُمْتُ بِحَصْرِ كُلّ الآيَاتِ، لَكِنِّي آمُلُ أنْ أكُونَ قد أتَيْتُ عَلَى جُلّ المَوَاضِعِ، وقَدَّمْتُ نَمَاذِجَ كَاشِفَةً لَهَا. وقد جاءَ بعُنْوَان:

(حِكَايَةُ الحَالِ بَيْنَ ضَابِطِ الصّنَاعَةِ ودِلَالَةِ المَعْنَى دِرَاسَةً نَحْوِيَّةً قُرْآنِيَّةً)

وانْتَظَمَتْ صُورَتُهُ في مُقَدِّمَةٍ وتَمْهِيدٍ ومَبْحَثَيْنِ وخَاتِمَةٍ.

أما المقدمةُ: فذكَرْتُ فيها أهَمِّيَّةَ المَوضُوعِ، وسَبَبَ اخْتِيَارِي له، والمَنْهَجَ العِلْمِيَّ الذي اتَّبَعْتُهُ، والدِّرَاسَاتِ السَّابِقَةِ.

والتمهيدُ: تَحَدَّثْتُ فيه عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ: إحْدَاهُمَا: تَعْرِيفُ لفظِ (حِكَاية)، و(الحَالِ) لغةً، وتَعْرِيفُهُمَا اصطِلَاحًا عندَ النَّحْوِيينَ بوَصْفِهِمَا مُرَكَّبًا إضَافيًا.

والأُخْرَى: مَوقِفُ النَّحْوِيينَ مِنْ حِكَايةِ الحَالِ.

والمبحثُ الأوَّلُ: تَحَدَّثْتُ فيه عَنْ حِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ، وفيه اثنتَا عَشْرَةَ مَسْأَلَةً.

والمَبْحَثُ الثانِي: تَحَدَّثْتُ فيه عَنْ حِكَايَةِ الحَالِ المُسْتقبلَةِ، وفيه سِتُّ مَسَائِلٍ.

ثم الخاتمة: وفيها أهَمُّ نَتَائِجِ البَحْثِ.

وذَيَّلْتُ البَحْثَ بِثَبَتٍ بأهَمِّ المَصَادِرِ والمَرَاجِعِ.

مَنْهَجُ البحثِ:

اتَّبَعْتُ فيه المَنْهَجَ الوصْفِيَّ القَائِمَ علَى استقرَاءِ عِلّةِ (حِكَايَةِ الحَالِ) وتَتَبُّعِهَا في مَظَانِّهَا، وجَمْعِ مَسَائِلِهَا، وتَنَاوُلِهَا بالدِّرَاسَةِ والتَّحْلِيلِ، وتَتَّضِحُ مَعَالِمُهُ في الخُطُوَاتِ التَّالِيَةِ:

أَضَعُ عُنوَانًا مُنَاسِبًا لِكُلّ مَسْأَلَةٍ، وأُقَدّمُ بينَ يَدَيْهَا بتَمْهِيدٍ مُنَاسِبٍ يَصْلُحُ أنْ يكونَ مَدْخَلًا لَهَا، ثم أُبَيّنُ مَوضِعَ (حِكَايةِ الحَالِ)، في شَوَاهِدِه مِنَ القُرآنِ وكَلَامِ العَرَبِ، والعُلَمَاءَ القائلِيْنَ به، مُوَثقًا ذلك مِنْ كُتُبِهِم – ما أمْكَنَ–، وأثرَه في المَعْنَى، وإنْ كانَ في المَسْألةِ خِلَافٌ أو تَخْرِيجَاتٌ أُخْرَى غيرُ حكايةِ الحَالِ ذَكَرْتُ ذلك عَارِضًا أدِلَّتَهم مُحَاوِلًا التَّرْجِيحَ بينها– ما كانَ للتَّرْجِيحِ مَوْضِعٌ–.

الدراسات السابقة:

لَمْ أقِفْ علَى دِرَاسَةٍ عُنِيَتْ بِتَنَاوُلِ المَوضُوعِ عَلَى الصُّورَةِ الوَارِدَةِ في هذا البَحْثِ.

وخِتَامًا أسْألُ اللهَ – تَعَالَى– أنْ أكُونَ قد وُفِّقتُ فِيمَا إليه قَصَدْتُ، وأنْ يَنْفَعَ به، وأنْ يَحْظَى بالقبُولِ، وأنْ يَجْعَلَه خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وآخِرُ دَعْوَانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وصَلَّى اللهُ عَلَى سيّدِنا محمد وعَلَى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلّمَ.

تَعريفُ حكايةِ الحالِ.

يَشتَمِلُ هذا التَّمهِيدُ على تَعْرِيفِ كُلٍّ مِنْ:(حِكَايَة) و (الحَال) في اللُّغَةِ، وبَيَانِ مَعْنَى (حِكَايَة الحَالِ) بِوَصْفِهِ مُرَكَّبًا إضَافِيًّا في اصْطِلَاحِ النَّحويينَ.

فـ(حِكَايَة) في اللغة: مَصْدَرٌ على وَزْنِ (فِعَالَة) مِنَ الفعلِ الثُّلَاثِيّ، المُتَعَدِّي، المُعْتَلِّ، النَّاقِصِ (حَكَى)، يُقَالُ: حَكَى الشَّيْءَ يَحْكِيْهِ حِكَايَةً: أَتَى بِمِثْلِهِ، وحَكَيْتُ فُلَانًا وحَاكَيْتُهُ: فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ، وحَكَيْتُ عَنْهُ الكَلَامَ: نَقَلْتُهُ، وقُلْتُ مِثْلَ قَولِهِ سَوَاءً لَمْ أُجَاوِزْهُ.

قالَ ابنُ فارسٍ:" الحَاءُ والكَافُ ومَا بَعْدَهُمَا مُعْتَلٌّ أَصْلٌ واحدٌ ..... هو إحْكَامُ الشّيْءِ بِعَقْدٍ أو تَقريرٍ، يُقَالُ: حَكَيْتُ الشَّيْءَ أَحْكِيْهِ، وذلك أنْ تَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِ الأَوَّلِ"[1].

والحِكَايَةُ: ما يُحْكَى ويُقَصُّ، وَقَعَ أو تُخُيِّلَ[2].

والحالُ في اللغة: يُطْلَقُ على الوقتِ الذي أنتَ فيه، وهذا الوقتُ حَدَّه ابنُ الكَمَالِ بأنَّه:" نِهَايَةُ المَاضِي، وبِدَايَةُ المُسْتَقبَلِ"[3] والحَالُ: كِيْنَةُ الإنْسَانِ، وهو ما يَكُونُ عَلَيْهِ المَرْءُ مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ.

وألفُ (الحَالِ) مُنْقَلِبَةٌ عَنْ وَاوٍ؛ لقولِهم في جَمْعِهَا أَحْوَالٌ، وفي تَصْغِيرِهَا: حُوَيلَة، واشتقاقُهَا مِنَ الحَوْلِ، بمعنى التَّحَوُّلِ، وهو التنقُّل، فيُقَالُ: حَالَ الرَّجُلُ

---

(1) مقايس اللغة مادة (ح ك ي) ٢/٩٢.

(2) ينظر في تعريف الحكاية لغة: العين للخليل مادة (ح ك ي) ٣/٢٥٧ لسان العرب (ح ك ي) ٢/٩٥٤ القاموس المحيط باب الواو والياء فصل الحاء(ح ك ي) ٤/٣١٣ تاج العروس (ح ك ي) ٣٧/٤٥٨ المعجم الوسيط (ح ك ي) ١/١٩٠.

(3) تاج العروس مادة (ح و ل) ٢٨/٣٧٤.

يَحُوْلُ حَوْلًا: إذا انتقلَ مِنْ مَكَانٍ إلى مَكَانٍ، ثم اسْتُخْدِمَ في المَعَانِي، فَصَارَ يُطْلَقُ علَى أحْوَالِ المَرْءِ، وما يكونُ عليه مِنْ خيرٍ أو شرٍّ.

فقد قالَ ابنُ فارس:" الحَاءُ والوَاوُ اللامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وهو تَحَرُّكٌ في دَوْرٍ.... وحَالَ الشَّخْصُ يَحُوْلُ إذا تَحَرَّكَ، وكَذلك كُلُّ مُتَحَوِّلٍ عنْ حَالَةٍ"(١).

ويجوزُ في (الحَالِ) التَّأنيثُ والتَّذكِيرُ في لَفْظِهَا ومَعْنَاهَا، قال الزَّبِيديُّ:" والتأنيثُ أكثرُ"(٢). فتقولُ في لَفظِهَا: حَالٌ وحَالَةٌ. وفي معناها أيضًا: قد يُذَكَّرُ، فيَعُوْدُ الضَّمِيرُ عليه مُذَكرًا، ويُسْنَدُ إليه الفعلُ الماضي بغيرِ تاءٍ، ويُشَارُ إليه باسمِ الإشارَةِ الموضوعِ للمُذَكَّرِ، ويُوصَفُ بما يُوصَفُ به المُذَكَّرُ. وقد يُؤَنَّثُ، فَيَعُودُ الضَّمِيْرُ عليه مُؤَنَّثًا، ويُوصَفُ بِمَا يُوصَفُ به المُؤنَّثُ، ونحو ذلك مِنْ وُجُوهِ التَّفْرِقَةِ بينَ المُذَكَّرِ والمُؤَنَّثِ(٣).

مَعْنَى (حِكَايَة الحَالِ) بِوَصْفِهِ مُرَكَّبًا إضَافِيًّا في اصْطِلَاحِ النَّحويينَ.

وَرَدَ مُصْطَلَحُ (حِكَايةُ الحَالِ) في كلامِ النَّحوِيّينَ، وَوَضَعُوا له تعريفًا في كُتُبِهِم، أسْبَقُهَا- فيمَا أعْلَمُ- وأجْمَعُهَا ما ذَكَرَه الإمَامُ عبدُ القاهر الجُرْجَانِيّ

(١) مقاييس اللغة ١٢١/٢ وينظر أيضا العين (ح و ل)٢٩٩/٣ لسان العرب(ح و ل) ١٠٥٧/٢ القاموس المحيط باب اللام فصل الحاء (ح و ل) ٣٥٢/٣ تاج العروس (ح و ل) ٣٧٤/٢٨ المعجم الوسيط (ح و ل)٢٠٩/١.

(٢) تاج العروس (ح و ل) ٣٧٤/٢٨.

(٣) من كلام أ.د/ عبد الفتاح بحيري إبراهيم –رحمه الله–، في تحقيقه للتصريح بمضمون التوضيح ٥٩٧/٢.

مِنْ أنَّ حقيقته" أنَّكَ تَتَصَوَّرُ ذلكَ الزَّمَانَ مَوْجُودًا، وتَتَخَيَّلُ أنَّه وَقْتُكَ الذي أنْتَ فيه، أو أنَّكَ في ذلك الوَقْتِ"(١).

فهذا التعريفُ جامعٌ لِنَوْعَيْ حِكَايةِ الحَالِ (حكاية الحَالِ المَاضِيَةِ) و (حِكَاية الحَالِ المُسْتَقْبَلَة) صَالِحٌ لَهُمَا، وجَعَلَ لذلك طَرِيقَيْنِ: أحدهما: استحضارُ الزَّمَنِ، والآخر: الذَّهَابُ بالشَّخْصِ إلى ذلكَ الزَّمَنِ.

ففي حكايةِ الحَالِ المَاضِيَةِ: حيثُ يكُونُ المَعْنَى أو الحَدَثُ قدْ وَقَعَ وتَحَقَّقَ فِعْلًا قبلَ النُّطْقِ بالجُمْلَةِ، وفي مثلِ هذا كانَ المُنَاسِبُ أنْ يُعَبَّرَ عنه بصيغةِ الفعلِ الماضي، لكنْ يُعَادُ ذِكْرُهُ بصيغةِ المُضَارِعِ أو باسمِ الفاعِلِ الذي بمعناه؛ لحكايةِ هذه الحالِ الماضيةِ عنْ طريقِ إرْجَاعِ ما فَاتَ، واسْتِحْضَارِ الزَّمَنِ، وتَخَيُّلِ أنه موجودٌ، وأنَّ الأحداثَ ما تزالُ تَجْرِي. أو على تَخْيِيلِ أنَّ المتكلمَ قد تَرَكَ زمانَه الذي يَعِيشُ فيه، ورَجَعَ إلى الزَّمَانِ السَّالِفِ، حيثُ تَجْرِي الأحْدَاثُ أَمَامَهُ ساعَةَ النُّطْقِ بها، وكأنَّه مِنْ أهْلِ ذلك العَصْرِ القَدِيمِ.

والغَرَضُ مِنْ ذلك اسْتِحْضَارُ صُورَةِ الحَدَثِ في الذِّهْنِ، وتَصْوِيرُه كأنَّه مُشَاهَدٌ مَرْئِيٌّ وقتَ الإخْبَارِ عنه، فَيَنْتَبِهُ السَّامِعُ إليه، ويُقْبِلُ بِحَوَاسِّهِ عليه، فَيَقْضِي العَجَبَ مِن الحَدَثِ، ويَثُورُ عندَه الشَّوقُ إلى استكمَالِهِ بعدَ أنْ امْتَزَجَ بِجَوِّ الأحْدَاثِ، كمَا أنَّ هذا يَجعلُهُ أكثرَ قبولًا لها، وأسْرَعَ استجابةً لِمَا فيها.

---

(١) المقتصد ٥١٤/١. وبعض النحويين اقتصر في تعريفه على أحد نوعي حكاية الحال، وبالأخص (حكاية الحال الماضية) أو ذكر تعريفا لكل نوعٍ، وينظر في ذلك: شرح الكافية للرضي ٤١٨/٣-٤١٩ شرح شذور الذهب للجوجري ٦٨٤/٢-٦٨٥ حاشية يس على التصريح ٦٦/٢ حاشية الصبان ٤٤٤/٢ حاشية الخضري على ابن عقيل ٥٤١/٢ بالإضافة إلى النحو الوافي ٣٤٠/٤.

وفي حكاية الحالِ المستقبَلَةِ: فإنَّ المعنى أو الحَدَثَ لمْ يقعْ بعدُ، لكنْ يُعَبَّرُ عنه بِمَا يَدُلُّ على أنه وَقَعَ بالفعلِ، أو يَقَعُ السَّاعَةَ، ويَحْدُثُ الآنَ (أي: وقتَ الكلامِ)، وذلك باسْتِحْضَارِ الزَّمَنِ، مع أنَّه لم يقعْ بَعْدُ، ولم يتحققْ قبلَ الكَلَامِ، ولا في أثنائِهِ.

والغَرَضُ مِنْ ذلك: إفَادَةُ تَحَقُّقِ وُقُوعِ هذه الأحداثِ، والقَطْع بمجيئها، وأنَّها آتيةٌ لا محالةَ، فهي بمنزلةِ ما وَقَعَ وتَحَقَّقَ، أو ما يَقَعُ ويَتَحَقَّقُ أثناءَ الكَلَامِ.

مَوقِفُ النَّحويينَ منْ حِكَايةِ الحَالِ .

تكلَّمَ النَّحويُّونَ عنْ عِلَّةِ (حكايةِ الحَالِ) بعباراتٍ تُشِيرُ إلى قَبُولِهِم بها، وتَعْوِيلِهِم عليها في تَوجِيْهِ ما ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ الصِّنَاعةَ النَّحويةَ مِن الأساليبِ، وأنَّها وَرَدَتْ كثيرًا.

وكانَ أسْبَقَ مَنْ وَقَفْتُ عليه مِنَ النحويينَ يُوَجِّهُ الكلامَ ويَحْمِلُهُ على (حكايةِ الحالِ) أبو بكر ابنُ السَّرَّاجِ، حيثُ وَجَّه زَمَنَ المُضَارِعِ قبلَ (إلَّا) وقد جاءَ بعدَها ماضٍ مجرَّدٌ مِن (قد)، نحو: ما تأتيني إلَّا قلتَ حَسَنًا، وما تُحَدِّثُنِي إلَّا صَدَقْتَ، بأنَّ " المضارِعُ الذي قبلَه في معنى الماضي؛ لأنه حِكَايةُ الحالِ، ألا تَرَى أنَّ معناهُ: كُلَّمَا حدَّثتَنِي صَدَقتَنِي، وكُلَّمَا جِئتَنِي قُلْتَ حَقًّا"[1].

ثم جاء مِنْ بعدِه تلميذُه الأستاذ أبو عليّ الفارسيّ، فاحتجَّ بها في ثلاثةِ مواضعَ- فيما وقفتُ عليه- فَحَمَلَ عليها مَجِيْءَ المضارعِ بعد (رُبَّمَا)، واستعمالَ اسمِ الإشارةِ للقريبِ مشارًا به إلى البعيد، فقال عن (رُبَّمَا):" وقد يَقَعُ المُضَارِعُ بعدَها على تأويلِ الحِكَايةِ، وذلك في قولُه تعالى:﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فهذه حكايةُ حالٍ تكونُ، كمَا قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾"[2]. كمَا حَمَلَ عليها مَجِيْءَ المضارعِ بمعنى الاستقبالِ إذا دخلَتْ عليه لامُ الابتداءِ في خَبَرِ (إنَّ)، ومنه قولُه تعالى:"﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[3] فيقولُ:" فإنْ قِيلَ: كيفَ صَارَ

---

(1) الأصول في النحو ١/٢٩٩-٣٠٠.

(2) الإيضاح العضدي٢٠٢.

(3) سورة النحل من الآية ١٢٤.

للحَالِ وقد اتَّصَلَ به (يوم القيامة) كمَا تقولُ: يَضْرِبُ زيدٌ غَدًا؟ قيلَ: أُرِيْدَ به حكايةُ الحالِ، وإنْ اتَّصَلَ به ما هو في المعنى مُسْتَقبلٌ، ولك أنْ تَحْكِي الحالَ إذا كانت فيما مَضَى أو فيما يُستقبَلُ"[١].

وتَبِعَهُ في ذلك تلميذاه النجيبانِ والإمامانِ الكبيرانِ أبو الفتح بنُ جني، وعبدُ القاهر الجرجاني[٢]. فيقولُ ابنُ جني:" وحِكَايَةُ الحَالَيْنِ المَاضيةِ والآتيةِ كَثِيرٌ في القُرآنِ والشعرِ "[٣].

ثم تَتَابَعَ النحويونَ مِن بعدِهم، فأكثرَ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنَ التوجيهِ بها في (الكَشَّاف)- كما سيظهر في ثنايا البحث- وفي (المفصل)[٤]، ووجَّهَ بها السهيليُّ[٥]،وابنُ يعيش[٦] وابنُ الحاجبِ[٧]، وابنُ هشامٍ[٨].

وأيضًا مِن عُلَمَاءِ المدرسةِ الأندلسيَّةِ الذين وَقَفْتُ عليهم ابنُ مالك[٩]،

---

(١) التعليقة ٢/٢١٦.

(٢) ذكره في المقتصد في عدة مواضع منها ١/٥١٤، ٢/٨٣٥-٨٣٦.

(٣) التمام في تفسير هذيل ما أغفله أبو سعيد السكري ٩٥. وينظر أيضًا الخصائص ٣/٤١٨.

(٤) نص المفصل من شرح المفصل لابن يعيش ٦/٧٦.

(٥) نتائج الفكر ٩٣.

(٦) شرح المفصل ٦/٧٧.

(٧) الإيضاح في شرح المفصل ١/٥١١، ٦٤١.

(٨) مغني اللبيب ٦/٦٩١-٦٩٣.

(٩) شرح التسهيل ١/٢٤٨-٢٤٩، ٣/٧٣ شرح الكافية الشافية ٢/١٠٤٣.

وابنُ عصفور[١] وابنُ أبي الربيع الذي قال عنها:" وإذا تَتبعْتَ حكايةَ الحالِ في كَلَام العَرَبِ وجدتَها كثيرةً متَّسِعَةً، فالحَمْلُ عليها أوْلَى...."[٢].

وكذلك أبو حيان[٣] والشاطبيُّ[٤]، ومَنْ بعدَهم مِنَ النحويين- رحمهم الله أجمعين-، لم يُخَالِفْ في ذلك أحدٌ- فيما أعلم-.

وإنْ كانَ بعضُ النَّحْوِيينَ- إذا كانَ الأُسْلُوبُ يُمْكِنُ حَمْلُهُ على أكثرِ مِنْ وَجْهٍ- قد يُرَجِّحُ حَمْلَه على وجهٍ آخرَ غيرِ (حكايةِ الحالِ).

فهذا ابنُ مالكٍ والرضيُّ وابنُ هشام يُرَجِّحُونَ في (إذْ) حينَ تَجِيءُ دالَّةً على الزَّمَانِ المستقبلِ، كما في نحو قولِهِ تعالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾[٥] وقولِه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[٦] وقولِه تعالى:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[٧] أنَّها وقَعَتْ موقِعَ (إذا). كما يُرَجِّحُونَ أنْ تَقَعَ (إذا) مَوقِعَهَا حينَ تَجِيْءُ ظرفًا لِمَاضٍ لفظًا ومعنىً، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾[٨] وقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[٩]،

---

(١) شرح الجمل ٥٥١/١، ٥٦٥.

(٢) البسيط ١٠١٣/٢.

(٣)احتج بها في مواضع كثيرة من تفسيره (البحر المحيط) مما سيظهر في ثنايا البحث، وأيضًا في ارتشاف الضرب ١٢٤١/٣ والتذييل والتكميل ٢٠٧/٣، ٢٣/٥، ٣٢٥/١٠

(٤) المقاصد الشافية ٥٧٥/٣، ٤/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٥) سورة الأنعام من الآية٣٠.

(٦) سورة المائدة من الآية ١١٠.

(٧) سورة مريم من الآية ٣٩.

(٨) سورة آل عمران من الآية ١٥٦.

(٩) سورة الجمعة من الآية ١١.

ولا يَحْمِلُونَ ذلك على حكايةِ الحالِ المستقبلَةِ في الأُوْلَى، والماضيةِ في الأُخرَى كما عليه جمهورُ النحويينَ.

وأيضًا نجدُ أنَّ الرضي قد وَازَنَ بين نوعَيْ حكايةِ الحال: الماضيةِ، والمستقبلَةِ، فأثبَتَ حكايةَ الحالِ الماضيةِ، ونفى حكايةَ الحالِ المستقبلَةِ، فقال:" وحكاية الحالِ المستقبلة مِمَّا لم يَثْبُتْ في كلامِهِم كما ثَبَتَتْ حكايةُ الحَالِ الماضيةِ"(١).

وظاهِرُ كلامِهِ أنَّه يَنْفِي أصْلَ مَجِيْءِ حكايةِ الحالِ المستقبلَةِ في كلامِ العربِ، ويُقَرِّرُ أنَّ الواقعَ في استعمالِهِم إنَّمَا هو حكايةُ الحالِ الماضيةِ. فإنَّه قالَ هذا في مَعْرِضِ رَدّه على ابنِ الحَاجِبِ اعتذارَه عمَّنْ يقولُ بِدُخُولِ (إذا) على جملةٍ اسميَّةٍ خَبَرُهَا مُضَارِعٌ، نحو: إذا زيدٌ يقومُ، بـ" أنَّ (يقوم) حينئذٍ لم يُقْصَد بها الدلالةُ على المستقبلِ، وإنما قُصِدَ بها الدلالةُ على الحَالِ على وجْهِ الحكايةِ "(٢).

ويَحْتَمِلُ أنَّه لم يَثْبُتْ بالكثرةِ التي ثَبَتَتْ بها حكايةُ الحالِ الماضيةِ، فيكونُ نافيًا لصفةِ الثبوتِ وهي الكثرة، وليس لأصلِهِ.

– وعَلَى كِلا الاحتمالَيْنِ– فإنَّ في كلامِ الإمامِ الرضيّ نظرًا؛ لأنَّ حكايةَ الحالِ المستقبلَةِ أَثْبَتَهَا النَّحْويونَ قبلَه، فهذا أبو علي الفارسي يُصَرِّحُ بأنَّ" لك أنْ تَحْكِي الحَالَ كانتْ فيما مَضَى أو فيما يُسْتَقبَلُ"(٣).

(١) شرح الكافية ٢٠٢/٣.

(٢) الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٥١١/١.

(٣) التعليقة على كتاب سيبويه ٢١٦/٢

وحَكَى ابنُ جني ثُبُوتَ حكايةِ الحالِ الماضيةِ والمستقبلَةِ بكثرةٍ –على السَّوَاءِ– في القرآنِ الكريم والشِّعْرِ، فقال:"وحكايةُ الحالَيْنِ الماضيةِ والآتيةِ كثيرٌ في القرآنِ والشِّعْرِ"(١).

وخَصَّهَا ابنُ هشامٍ الأنصاريّ في قواعِدِه الكُلِّيَّةِ التي يَنْدَرِجُ تحتَها ما لا يَنْحَصِرُ مِنَ الصُّوَرِ الجُزئيّةِ بقاعدةٍ مستقلَّةٍ فقال:" القَاعِدَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّهُم يُعَبِّرُونَ عَنِ المَاضِي والآتِي كَمَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الشَّيْءِ الحَاضِرِ؛ قَصْدًا لإِحْضَارِهِ في الذِّهْنِ حتى كأنَّه مُشَاهَدٌ حَالَةَ الإِخْبَارِ"(٢). فَجَمَعَ بَيْنَ الحَالِ المَاضِيَةِ والآتِيَةِ (المُسْتَقبَلَةِ)، وسَاقَ شَوَاهِدَ لِكِلَيْهِمَا.

فإنْ قيلَ: إنَّ حكايةَ الحَالِ المستقبلَةِ في القرآنِ كثيرةٌ سائغةٌ؛ لأنَّه حَدِيثُ "مَنْ لا خِلَافَ في إِخْبَارِهِ"(٣) فإنَّ اللهَ –عز وجلَّ– بعلمِهِ الغيبَ وقدرتِهِ عليه، وأنَّه حاصِلٌ لا شَكَّ فيه، وَوَاقِعٌ لا ارتيابَ به، يَحْكِي عن المستقبلِ بِمَا هو كائنٌ، وإنْ لم يَكُنْ بَعْدُ، وليسَ البَشَرُ كذلك.

فالجَوَابُ: أنَّ البشرَ وإنْ كانوا لا يَعْرِفُونَ الغيبَ ولا يَقْدِرُونَ عليه لكِنَّ استحضارَ المستقبلِ منهَجٌ مألوفٌ وطَرِيقةٌ مُتَّبَعَةٌ عند العَرَبِ، فقد حَكَى ابنُ فارِسٍ أنَّ " العَرَبَ تقولُ مثلَ ذا، وإنْ لم تَعْرِف العَوَاقِبَ. قالَ:

---

(١) التمام في تفسير أشعار هذيل ٩٥.

(٢) مغني اللبيب ٦٩١/٦.

(٣) إخباره: بلفظ المصدر، ويحتمل: (أخباره) بالجمع، وهي عبارة الخطيب القزويني في تلخيص المفتاح، ينظر شروح التلخيص ٨٥/٢ حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ١١٣/٢ .

سَتَنْدَمُ إِذْ يَأْتِي عَلَيْكَ رَعِيْلُنَا ∴ بِأَرْعَنَ جَرَّارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلُه. "[1]

ويؤيدُ ذلك مَا حَكَاهُ ابنُ هِشَامٍ عن عَادَةِ العَرَبِ في القَاعِدَةِ السَّادِسَةِ، والشَّوَاهِدُ مِنَ القرآنِ الكريمِ وكَلَامِ العربِ التي وَرَدَتْ في دراسةِ مَسَائِلِ هذا البحث.

(1) الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب ١٤٤. الرعيل: الجماعة من الرجال التي تتقدم غيرها. أرعن: صفة لموصوفٍ محذوف، والمراد: جيشٌ أرعن، أي: عظيمٌ جرَّارٌ، أو مضطربٌ لكثرته. والصواهل: جمع صاهل، وهو الفرس. والشاهد فيه أنه استخدم (إذ) للدلالة على الاستقبال، على وجه حكاية الحال المستقبلة.

المبحثُ الأوَّلُ: حِكَايَةُ الحَالِ المَاضِيَةِ.

١- إعْمَالُ اسمِ الفاعلِ المُجَرَّدِ من (ال) بمعنى المَاضِي.

مِنَ الأسماءِ المشتقةِ التي تعْمَلُ عَمَلَ الفعلِ اسمُ الفاعِلِ، وإنَّما عَمِلَ لِمَا بينه وبينَ المضارعِ مِنْ أوجُهِ الشَّبَهِ اللفظيّ والمعنويّ.(١)

فالمُضَارعُ يتشابه مع اسمِ الفاعلِ في الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ وعَدَدِ الحُرُوفِ، حيثُ جَاءتْ (يَجْلِسُ) متوافقةً مع (جَالِس) في تحريكِ الأولِ والثالثِ وتسكينِ الثاني.

وأيضاً تشَابَهَا في تنوُّعِ الدلالة، فالمضارعُ يأتي بمعنى الحالِ والاستقبالِ، والاسمُ يأتي لمعانٍ شتَّى نحو(العين) فإنها تُطلَق على حرف الهجاء، والعين المبصرة، وعين الماء ونحو ذلك.

وأنهما قد يتخصَّصَانِ، فالمُضَارعُ قد يتخصَّصُ بـ(السين) أو (سوف) للاستقبال، والاسمُ قد يتخصَّصُ بوصفٍ أو بإضافةٍ.

كذلك صِحَّةُ وُقُوعِ الاثنينِ صِفَةً لِمَا قبلَهُمَا، نحو قولك: مَرَرْتُ برجلٍ يَضْرِبُ، ومَرَرْتُ برجلٍ ضاربٍ. كما يَصِحُّ دخولُ لامِ الابتداء عليهما فتقول: إنَّ زيدًا لَيقومُ، وإنَّ زيدًا لَقائمٌ.

---

(١) العلل في النحو للورَّاق ٢٩ المقتصد ٥١٢/١ شرح المفصل لابن يعيش ٧٦/٦ الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٦٤٠/١ شرح التسهيل لابن مالك ٧٥/٣ شرح الجمل لابن عصفور ٥٥٠/١ البسيط لابن أبي الربيع ١٠١٢/٢.

أوجُهُ الشَّبَهِ هذه جَعَلَتْ الاثنينِ يتقارضَانِ الأحْكَامَ؛ فأُعْرِبَ المضارعُ حَمْلًا على اسْمِ الفاعل، وعَمِلَ اسمُ الفاعل حَمْلًا له على المضارعِ، فجَازَ أنْ يَرْفَع فاعلًا ويَنْصِبَ مفعولًا فتقول: أقارئٌ محمدٌ الدَّرْسَ.

لكن لمَّا كان اسمُ الفاعلِ فَرعًا عن الفعلِ في العَمَلِ، والفرعُ أبدًا لا يَقوَى قُوَّةَ الأصلِ لم يعملْ اسمُ الفاعلِ في كلِّ موضعٍ يعملُ فيه الفعلُ؛ ولهذا وَضَعَ العُلَمَاءُ شُرُوطًا لإعمالِه من شأنها أنْ تُقوِّي شبَهَهُ بالفعل المضارع(١)

كأنْ يكون اسمُ الفاعِلِ بمعنى الحالِ أو الاستقبال، أو يَعْتَمِدَ على شيءٍ قبلَه، كأنْ يَلِي استفهامًا ملفوظًا به نحو: أضاربٌ زيدٌ عمرًا؟ أو مقدَّرا نحو: مُهِينٌ زيدٌ عمرًا أم مُكرِمُه؟، أو حرفَ نداءٍ نحو: يا طالعًا جبلًا، أو نفيًا نحو: ما ضاربٌ زيدٌ عمرا، أو جاء صفةً نحو: مررتُ برجلٍ مكرمٍ أباه، أو مُسْنَدًا لمبتدأ أو لِمَا أصلُهُ المبتدأ نحو: زيدٌ مكرمٌ والدَيْهِ، وإنَّ زيدًا مُكْرِمٌ والدَيْهِ. وهذه الشروطُ جَمَعَهَا وأوْجَزَهَا ابنُ مالكٍ في قوله:

كَفِعْلِهِ اسْمُ فَاعِلٍ فِي العَمَلِ ∴ إنْ كَانَ عَنْ مُضِيِّهِ بمَعْزِلِ

أو وَلِيَ اسْتِفْهَامًا أو حَرْفَ نِدَا ∴ أو نَفْيًا أو جَا صِفَةً أو مُسْنَدَا.(٢)

---

(١) دليلُ هذه الشروط استقراء لغة العرب،(الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٦٤٠/١) وذهب الأخفش والفراء إلى أنَّ اسم الفاعل يعملُ وإنْ لم يعتمد على شيءٍ مما ذُكِر؛ لقوة شبهه بالفعل، لكن الجمهور على غير ذلك.

ينظر في رأي الأخفش: كتاب الشعر لأبي علي الفارسي٢٨٧/١ اللباب للعكبري ٤٤٠/١ شرح ابن يعيش ٧٦/٦ شرح الجمل لابن عصفور ٥٥٣/١ شرح الكافية للرضي٤١٧/٣ ارتشاف الضرب٢٢٧١/٥ المساعد ١٩٤/٢.

وينظر في رأي الفراء: الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٦٤١/١ وحكاه أبوحيان في الارتشاف ٢٢٧١/٥ عن الكوفيين وكذلك الأشموني ٤٤٤/٢.

(٢) الألفية باب إعمال اسم الفاعل.

هذه القيودُ لتقويةِ الشَّبَهِ بينَ اسْمِ الفَاعِلِ- إذا كان مُجَرَّدًا مِن (ال)- والفعلِ المُضَارِعِ.

فإذا ضَعُفَ هذا الشَّبَهُ بفقدِ الشَّرطِ الأوَّلِ، وهو أنْ يكون بمعنى الحَالِ أو الاستقبال، فقد اختلف العُلَمَاءُ في إعْمَالِ اسم الفاعل إذا جاءَ بمعنى الماضي:

فذهب جمهورُ النحويين من البصريين والكوفيين إلى أنَّه إذا كان بمعنى الماضي لا يعملُ[1]، فلا تقولُ: هذا ضاربٌ زيدًا أمس، وإنَّما تكونُ: هذا ضَارِبُ زيدٍ أمس، بترْكِ تنوينِ اسْمِ الفاعلِ وإضَافَتِهِ لِمَعْمُولِهِ إضَافةً مَحْضَةً.

فبعدما تحدَّثَ سيبويه عن إعْمَالِهِ إذا كانَ بمعنى الحال أو الاستقبال فقال:" هذا بابٌ مِنَ اسْمِ الفاعِلِ الذي جَرَى مَجْرَى الفعلِ المُضَارِعِ في المفعولِ في المعنى، فإذا أرَدْتَ فيه مِنَ المعنى ما أرَدْتَ في (يَفْعَلُ) كان نكرةً مُنَوَّنًا وذلك قولك: هذا ضارِبٌ زيدًا غدًا. فمعناه وعملُهُ مثلُ: هذا يَضْرِبُ زيدًا غدًا، فإذا حدَّثتَ عن فعلٍ في حينِ وُقُوعِهِ غيرَ مُنقَطِعٍ كان كذلك، وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعةَ".[2]

---

(1) إعمال اسم الفاعل أو عدمه يقصَد به أن يظهر أثره الإعرابي في المفعول أو في الفاعل الظاهر، أما رفعه الضمير المستتر فالراجح أنه يرفعه على كل حال؛ لأنه لازمٌ لكل صفة من حيثُ الاشتقاق أو الجريان مجرى المشتق، خلافاً لأبي بكر بن طاهر وابن خروف. يقول أبو حيان:" والذي تلقفناه من الشيوخ أنه لاشتقاقه يتحمَّلُ الضميرَ" ارتشاف الضرب ٢٢٧٢/٥. وينظر أيضاً: البسيط ١٠١٠/٢ توضيح المقاصد ٨٤٩/٣ المساعد ١٩٨/٢ المقاصد الشافية ٢٦٩/٤ الموفي في النحو الكوفي ٤١٤.

(2) الكتاب ١/ ١٦٤.

نَفَى ثُبُوتَ هذا الحُكْمَ له إذا كان بمعنى الماضي فقال:" فإذا أَخبرَ أنَّ الفعلَ قد وَقَعَ وانقطَعَ فهو بغير تنوينٍ ألبتة". يعني أنه لابُدَّ فيه من الإضافة، وعلَّلَ ذلك بقوله: " لأنَّه إنَّمَا أُجْرِيَ مُجْرَى الفعلِ المُضَارِعِ له، كمَا أشبَهَه الفعلُ المضارعُ له في الإعرابِ، فكُلُّ واحدٍ منهما داخلٌ على صَاحِبِه، فلمَّا أرادَ سِوَى ذلك المعنى جَرَى مَجْرَى الأسماءِ التي مِنْ غيرِ ذلك الفعلِ".(١)

فاسمُ الفاعل إنَّمَا عَمِلَ النَّصْبَ لِشَبَهِهِ الفعلَ المُضَارِعَ لفظًا ومعنى، ولذلك حُمِلَ عليه وأُجرِيَ مُجْرَاه في العَمَلِ، كمَا حُمِلَ المضارعُ عليه وأُجريَ مُجْرَاهُ في الإعرابِ. بخلاف اسمِ الفاعِلِ المقصودِ به المُضِيّ فإنَّه لم يَعْمَل النَّصْبَ فيما بعدَه؛ لأنَّه وإنْ شَابَهَ في المعنى الفِعْلَ الذي هو بمعناه (وهو الفعل الماضي) إلاَّ أنَّه لم يُشَابِهُهُ في اللفظ. فإنَّ (ضَارِب) ليستْ عَلَى عَدَدِ (ضَرَبَ) في الحروف ولا مثلُهُ في الحَرَكاتِ والسَّكناتِ، فلا يُعْطَى حُكمَ ما أشبهه لفظًا ومعنى وهو المضارع.

وكما لم يُحمَل الفعلُ الماضي على اسْمِ الفاعِلِ في الإعْرَابِ لم يُحْمَل اسمُ الفاعِلِ عليه في العمل.

يقول الإمام عبد القاهر:" قد تقدَّمَ أنَّ الأفعالَ دَخَلَتْ على الأسماءِ في الإعرابِ، والأسماءَ دَخَلَتْ على الأفعالِ في العَمَلِ، فكَمَا لم يُؤخَذ للماضي إعرابٌ مِن الاسم فلم يُقَلْ: ضَرَبَ، وضَرَبُ، وضَرَبِ، كذلك لم يُعْطَ اسمُ الفاعلِ إذا كان بمعناه عَمَلَه، فلم يُقَلْ: هذا رجلٌ ضاربٌ أبوه زيدًا أمس، كما يُقال: ضَرَبَ أبوه زيدًا أمس. وكما أُخِذَ للمضارع من إعرابِ الاسم فقيل: يَضْرِبُ، ولن يَضْرِبَ، ولم يَضْرِبْ، كذلك أُعطِيَ اسمُ الفاعل إذا كان بمعناه

(١) الكتاب ١/١٧١.

وهو أنْ يكونَ للحال والاستقبالِ عَمَلَه، فقيل: هذا رجلٌ ضاربٌ أبوه زيدًا الآنَ أو غدًا، كما يقال: يَضْرِبُ أبوه زيدًا "[1]

وقال ابنُ مالك:" فالمُسَوِّي في العَمَلِ بين اسمِ الفَاعِلِ المقصُودِ به المُضِيّ وبينَ اسمِ الفاعِلِ المقصودِ به معنى المُضَارِعِ كالمُسَوِّي بين الفعلِ الماضي والفعلِ المُضَارِعِ في الإعْرَابِ، وهذا لا يَصِحُّ، فلا يَصِحُّ ما هو بمنزلتِهِ".[2]

ولم يخالف في هذه المسألة إلاَّ الإمامُ الكسائي[3] فإنَّه أجازَ إعْمَالَ اسْمِ الفَاعِلِ إذا كانَ بمعنى المَاضِي كما يَعْمَلُ إذا كان بمعنى الحَالِ أو الاستقبالِ، مُحْتَجًّا بأنَّ اسمَ الفاعِلِ إنَّما يَعْمَلُ بما فيه مِنْ مَعْنَى الفعلِ. **وتابعه في ذلك هشامُ بنُ معاويةَ الضَّرِيرُ، وابنُ مَضَاء.**

يقول أبو حيان: "وذَهَبَ الكِسَائيُّ، وهشامٌ، وأبو جعفر ابنُ مَضَاء إلى أنَّه يَعْمَلُ ماضِيًا، فتقول: هذا ضاربٌ زيدًا أمس"[4]

وكان مما احتجوا على ذلك من السَّمَاعِ قولُهُ تعالى: ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [5]. حيث عَمِلَ اسمُ الفاعل (بَاسِطٌ) النصبَ في (ذِرَاعَيْهِ) وهو

([1]) المقتصد ٥١٥/١.

([2]) شرح التسهيل ٧٥/٣.

([3]) ينظر في رأيه المقتصد ٥١٣/١ شرح ابن يعيش ٧٧/٦ شرح التسهيل لابن مالك ٧٥/٣ شرح الكافية الشافية ١٠٤٣/٢ شرح الجمل لابن عصفور ٥٥٠/١ البسيط ٩٩٩/٢، ١٠١١ ارتشاف الضرب ٢٢٧٢/٥ شرح الكافية للرضي ٤١٧/٣ توضيح المقاصد ٨٤٩/٣ المساعد ١٩٨ مغني اللبيب ٦٩٣/٦ المقاصد الشافية ٢٦٣/٤ .

([4]) ارتشاف الضرب ٢٢٧٢/٥ وينظر أيضا التذييل والتكميل ٣٢٤/١٠.

([5]) سورة الكهف آية ١٨.

بمعنى الماضي؛ لأنَّ البَسْطَ مَضَى وانتهى زَمَنُه، وفي هذا دليلٌ على أنَّه يَعْمَلُ النَّصْبَ وهو بمعنى الماضي.

لكنَّ هذا الاستدلالَ غيرُ مُسَلَّمٍ به، فقد أُجيبَ عن ذلك بأنَّ العربَ لم تُعمِل اسمَ الفاعل إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال كما في نحو: هذا ضَارِبٌ زيدًا الآن أو غدًا، بكونه فيه معنى الفعل فقط، وإنَّما عَمِلَ لِمُشَابَهَتِهِ له في عددِ الحُرُوفِ ومُوَازَنَتِهِ له في الحَرَكَاتِ والسَّكَنَاتِ إلى جَانِبِ مُوَافَقَةِ المعنى.[1]

قالَ ابنُ مالكٍ:" فالمُسَوِّي في العَمَلِ بَيْنَ اسمِ الفاعِلِ المَقْصُودِ به المُضِيّ وبينَ اسمِ الفَاعِلِ المقصُودِ به معنى المُضَارِعِ كالمُسَوِّي بينَ الفعلِ الماضي والفعلِ المُضَارِعِ في الإعْرَابِ، وهذا لا يَصِحُّ، فلا يَصِحُّ ما هو بِمَنْزِلَتِهِ".[2]

*وأمَّا قوله تعالى: : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ فمَحْمُولٌ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ [3].

---

(1) البسيط لابن أبي الربيع ١٠١٢/٢ المساعد ١٩٧/٢.

(2) شرح التسهيل ٧٥/٣.

(3) ينظر في توجيه الآية على حكاية الحال الماضية: الإيضاح العضدي ١٣٤ المقتصد ٥١٣/١ الكشاف ٥٧١/٣ شرح ابن يعيش ٧٧/٦ شرح التسهيل لابن مالك ٧٣/٣ شرح الكافية الشافية ١٠٤٣/٢ شرح الجمل لابن عصفور ٥٥١/١ البسيط ١٠١٣/٢ شرح الكافية للرضي ٤١٩/٣ التذييل والتكميل ٣٢٥/١٠ المساعد ١٩٧/٢ تمهيد القواعد ٢٧٣٧/٦ مغني اللبيب ٦٩٢/٦-٦٩٣ المقاصد الشافية ٢٦٣/٤ حاشية الصبان ٤٤٤/٢ حاشية يس ٦٦/٢

فالله – عزَّ وجلَّ– يَحْكِي حالَ أَصْحَابِ الكهفِ، ويُصَوِّر هيئتَهم في كهفِهِم، فيَسْتَحْضِرُ الأحداثَ الماضيةَ، ويَبْعَثُ فيها الرُّوحَ وكأنَّها ما تزالُ جاريةً، وذلك باستخدامِ الأفعالِ المُضَارِعَةِ في سِيَاقِ الآياتِ التي تَتَحَدَّثُ عنهم، فيقولُ–عزَّ وجلَّ–: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[الكهف:١٨]

فالشَّمْسُ حين تَطْلُعُ تَرَاها تَمِيْلُ عنْ كهفِهِم وتَنْحَرِفُ عنه، وإذا غَرَبَتْ تُجَاوِزُهُم إلى الشِّمالِ، وهم في فجوةٍ منه، وهم في نَوْمَتِهِم الطويلةِ هذه يتقلبون مِنْ جَنْبٍ إلى جَنْبٍ " ذَاتَ الْيَمِينِ وذَاتَ الشِّمَالِ " يَحْسَبُهُم الرَّائِي أيقاظاً وهم رُقُودٌ، وكَلْبُهم –على عادة الكلاب– باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ قريبًا مِنْ بَابِ الكهفِ يَحْرُسُهُم، وهم في هَيْئَتِهِم هذه يُثيرونَ الرُّعْبَ في قُلُوبِ مَنْ يَطَّلِع عليهم؛ إذْ يَرَاهُم نِيَامًا كالأيقاظِ، يتقلبونَ ولا يَستيقظون، وذلك مِنْ تدبيرِ الله حتى لا يَعْبَثَ بهم عَابِثٌ حتى يَحِيْنَ الوقتُ المَعْلُومُ لِبَعْثِهِم مِنْ نَومِهِم[1].

(1) الكشاف ٥٧١/٣ البحر المحيط ١٠٩/٦ الدر المصون ٤٦٠/٧ البسيط للواحدي ٥٥٩/١٣ دراسات لأسلوب القرآن ٣٩٩/٧ في ظلال القرآن ٢٦٣٥ .

وبهذا يكون اسمُ الفاعلِ في الآية مُرَادًا به الحالُ، يؤيدُ ذلك: أنك لو أوْقَعْتَ المُضَارعَ مَوقِعَه فقلتَ: وكلبُهم يَبْسُطُ ذراعَيْهِ بالوَصِيْدِ، لَوَجَدْتَ المعنى مُسْتَقِيمًا، وأنَّ الواوَ في ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وَاوُ الحالِ(١).

يقول الإمام عبد القاهر: "وإذا وَقَعَ اسمُ الفاعِلِ في مَوضعٍ يَقْتَضِي المُضَارعَ فليس هو بِمَاضٍ وإنْ كان المعنى عَلَى المُضِيّ؛ لأجْلِ أنَّ الحالَ الماضيةَ تُحْكَى على صُورَةِ الحَاضِرَةِ، فهو كقولِهِ تعالى:﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾(٢) فكَمَا جاء اسمُ الإشارةِ وإنْ لم يكن هناك شيءٌ يُشَارُ إليه؛ لأنَّ القصْدَ حِكَايةُ الحَالِ المُنْقَضِيَةِ، كذلك يَجِيءُ اسمُ الفاعِلِ بمعنى الحال، حتى كأنَّه قال: كَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ الآنَ "(٣).

وقد صرَّحَ ابنُ يعيش " أنَّكَ إذا أَرَدْتَ حِكَايةَ الحَالِ كان ذلك في حُكْمِ الحَالِ"(٤).

وبذلك يَبْقَى اسمُ الفاعلِ المجردِ من (ال) على القياسِ في إعْمَالِهِ مِنَ اشتراطِ أنْ يكونَ بمعنى الحَالِ أو الاستقبالِ.

*ومِنَ الشَّوَاهِدِ القُرآنيةِ أيضًا عَلَى إعمَالِ اسمِ الفاعِلِ على حِكَايةِ الحَالِ قولُه تعالى:﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٥) فإنَّ (ما)

(١) شرح الجمل لابن عصفور ٥٥١/١ المساعد ١٩٧/٢.
(٢) سورة القصص آية ١٥.
(٣) المقتصد ٥١٣/١. وينظر أيضًا البسيط لابن أبي الربيع ١٠١٣/٢.
(٤) شرح المفصل ٧٧/٦
(٥) سورة البقرة آية ٧٢.

الموصولةَ في مَحَلِّ نَصْبٍ باسمِ الفاعِلِ (مُخْرِجٌ) وقد أُعْمِلَ اسمُ الفاعِلِ في المفعولِ به – مع أنَّ هذه أَحْدَاثٌ مَضَتْ وانقضَتْ–، **علَى حكايةِ الحَالِ المستقبَلَةِ.**

فالله – عزَّ وجَلَّ– أخبَرَ عنْ نَفْسِهِ وَقْتَ اختِصَامِهِم وتَدَافُعِهِم بالبراءَةِ والاتِّهَامِ أنَّه مُخْرِجٌ في المستقبَلِ ما كانوا يَكْتُمُونَه مِنْ أمْرِ القتِيْلِ وقَاتِلِه.

قالَ الزمخشريُّ: "فإنْ قُلْتَ: كيفَ أُعْمِلَ (مُخْرِجٌ) وهو في مَعْنَى المُضِيِّ؟ قلتُ: وقد حَكَى ما كانَ مستقبَلًا وقتَ التَّدَارُؤ. كَمَا حَكَى الحَاضِرَ في قولِهِ: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾"[1]

ومِنَ الإعمالِ أيْضًا قولُ أبي كبيرٍ الهُذَلِيّ:

مِمَّنْ حَمَلْنَ به وهُنَّ عَوَاقِدٌ .:. حُبُكَ النِّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرَ مُهَبَّلِ[2].

([1]) الكشاف ٢٨٤/١ وينظر أيضًا البحر المحيط ٤٢٤/١ الدر المصون ٤٣٥/١ مغني اللبيب ٦٩٣/٦.

([2]) البيت من الكامل، وهو لأبي كبير الهذلي (ديوان الهذليين ٩٢/٢) من قصيدة لامية يتحدث فيها عن تأبط شرًا، وكان أبو كبير زوجَ أمِّه، وأُعجِبَ بشجاعته وصَادَقَه بعد أن كان يريد التخلُّصَ منه. وتجده في الكتاب ١٠٩/١ الإنصاف ٣٩٢/١ شرح المفصل لابن يعيش ٧٤/٦ شرح الكافية للرضي ٤٢٣/٣ مغني اللبيب ٦٧٥/٦ شرح أبيات المغني للبغدادي ٨٢/٨ خزانة الأدب ١٩٢/٨ المقاصد النحوية لبدر الدين العيني ١٤٣٥/٣.

والنون في (حملن): نون النسوة، ولم يسبق لهن ذكر؛ لكونه معلومًا من المقام. حُبُكَ النطاق: مَشَدُّه مثلُ التِّكَّة، والنطاق: إزار تشده المرأة في وسطها وترسل أعلاه على أسفله، تقيمه مقام السراويل. مهبل: مثقلٌ باللحم، وقيل: المعتوه الذي لا يتماسك. والعرب تزعم أنَّ الولد إذا حملت به أمه كرهًا غلبَ عليه شبهُ الآباء فخرج مذكرًا نجيبًا.

==

فإنَّ (عَوَاقِد) جمعُ تكسيرٍ لاسمِ الفاعِلِ (عَاقِدَة) " وقد أَعْمَلَهُ في (حُبُك) حِكَايةً للحَالِ، وإنْ كانَ ذلك فِيمَا مَضَى، كقولِهِ تعالَى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾"(١).

فإنه يَصِفُ في قَصِيدتِهِ هذا الفتَى النَّجِيبَ الذي نالَ إعْجَابَه بعد أنْ كانَ يُرِيدُ قتلَه، ويَحْكِي حالَ حَمْلِ أُمِّهِ به، وهي بلا شكّ حَالٌ ماضِيَةٌ.

قال سيبويه:" ومِمَّا يُجْرَى مُجْرَى (فاعِلٍ) مِنْ أسماءِ الفاعِلِينَ: (فَوَاعِل)، أجْرَوهُ مُجْرَى (فَاعِلَة) حيثُ كانوا جَمَعُوه وكَسَّرُوه عليه، كمَا فَعَلُوا ذلك بـ(فاعِلِينَ، وفاعِلَات)"(٢).

==

والشاهد فيه: نصب (حُبُكَ النطاقِ) مفعولًا به لـ(عواقد) إجراءً لجمع التكسير مُجْرَى المفرد.

(١) خزانة الأدب ١٩٩/٨ وينظر أيضًا شرح أبيات المغني ٨٢/٨.

(٢) الكتاب ١٠٩/١.

٢- إعْمَالُ أمثلةِ المُبَالغةِ بمَعْنَى المَاضِي.

أمثلةُ المبالغةِ هي أبنيةٌ مُحَوَّلةٌ عن بناءِ (فَاعِل) -اسمِ الفاعلِ من الثلاثي- ؛ لِغَرَضِ المُبَالَغةِ في الفعلِ، والتكثيرِ فيه. بخلاف اسمِ الفاعِلِ الذي يدُلُّ على مُطلَقِ حُصُولِ الفعلِ دون الإشعار بقلَّةٍ أو كثرةٍ[١].

وأبنيتُها: فَعَّال، نحو: غَفَّار، ومِفْعَال، نحو: مِكْسَال، وفَعُول، نحو: وَصُول، و فَعِيل، نحو: سَمِيع، وفَعِل، نحو: فَطِن.

ولأنها مُحَوَّلةٌ عن اسمِ الفاعِلِ فهي فرعٌ عنه في العَمَلِ، ومَحْمُولةٌ عليه، وليس عَلَى فعْلِهِ؛ إذ إنّها لا تَجْرِي على المضارعِ في الحَرَكاتِ والسَّكَناتِ، وإنْ كانتْ تشتملُ على حُرُوفِهِ الأصليةِ.

يقولُ سيبويه:" وأجْرَوا اسمَ الفاعِلِ إذا أرادوا أنْ يُبَالِغُوا في الأمرِ مُجْرَاهُ إذا كان على بناءِ (فاعِل)؛ لأنه يُرِيدُ به ما أرَادَ بـ(فاعِل) مِنْ إيقاعِ الفعلِ، إلَّا أنه يُرِيدُ أنْ يُحَدِّثَ عن المُبَالغةِ"[٢].

فإذا كانتْ مُجَرَّدةً من (ال) عَمِلَت النَّصْبَ بالشرُوطِ التي اشْتَرَطَها العلماءُ في إعْمَالِ اسمِ الفاعِلِ، وهي ألَّا يكون بمعنى الماضي، بل يكونُ بمعنى الحال أو الاستقبالِ، وأنْ يكونَ مُعْتَمِدًا على نفيٍ أو استفهامٍ أو موصوفٍ أو مُخْبَرٍ عنه، وألَّا يُوصَف، وألَّا يُصَغَّر.

---

(١) شرح الكافية للرضي ٤٢٣/٣ المقاصد الشافية للشاطبي ٢٧٨/٤.

(٢) الكتاب ١١٠/١.

هذا ولم يُؤثرْ خِلافٌ بين النحويين[١] الذين يَرَونَ إعمالَ صِيَغِ المبالغةِ إعمالَ اسمِ الفاعِلِ في شُرُوطِ الإعمالِ إلَّا ما ذَهَبَ إليه ابنُ خروف مِنْ جَوَازِ إعمال صِيَغِ المبالغة بمعنى الماضي، دون اسمِ الفاعِلِ.

حيثُ يقولُ: "وتَعْمَلُ هذه الأمثلةُ بمعنى المَاضي والمُضَارِعِ، وبعضُ الأبياتِ التي أنْشَدَ [أي الزجاجُ] تَشْهَدُ لذلك، ولأنَّها لم تَعْمَلْ لِشَبَهِ الفعلِ..."[٢].

واحتجَّ لذلك بأنَّ هذه الأمثلةِ أقوى من اسمِ الفاعِلِ في العملِ، مِن جِهَةِ أنَّها لمَّا كانت للمبالغةِ كان فيها من قُوَّةِ المعنى ما ليس في اسْمِ الفاعِلِ، فَقَوِيَتْ على ما لم يَقْوَ عليه وعَمِلَتْ بمعنى الماضي[٣].

واحتجَّ أيضًا بالسَّمَاعِ، فإنَّ بعضَ الأبياتِ التي وَرَدَتْ في إعمالِ صِيَغِ المبالغةِ تشهدُ لذلك، فإنَّ منها ما جاء للمدحِ، نحو قولِ الشاعر:

أخَا الحَرْبِ لَبَّاسًا إليهَا جِلَالَها ∴ وَلَيْسَ بِوَلَّاجِ الخَوَالِفِ أعْقَلَا[٤].

---

(١) القولُ بإعمالِ أمثلةِ المبالغة إعمال اسم الفاعلِ هو مذهبُ البصريين. أما الكوفيون فيرون أنها غيرُ عاملةٍ، وأنَّ ما انتصب بعدها فعلى إضمارِ فعلٍ، فقولك: هذا ضَرُوبٌ زيدًا، تقديره عندهم: هذا ضروبٌ يضربُ زيدًا.
يقول ثعلب:" لا يَتَعَدَّى (فَعُولٌ، ولا مِفْعَالٌ)، وأهلُ البصرةِ يُعَدُّونه، والفراء والكسائيُّ يأبيانه إلَّا مِنْ كلامَيْنِ". مجالس ثعلب ١٢٤ وينظر أيضًا ١٩٦.

(٢) شرح الجمل ٥٥١/١.

(٣) البسيط ١٠٥٦/٢ شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٤/١ التذييل والتكميل ٣١٨/١٠ تمهيد القواعد ٢٧٤٧/٦.

(٤) البيت من الطويل للقُلاخِ بن حَزَن التميمي، وهو في الكتاب ١١١/١ المقتضب ١١٢/٢ شرح المفصل لابن يعيش ٧٠/٦ شرح التسهيل لابن مالك ٧٩/٣ شرح الكافية ==

والمَدْحُ لا يكونُ إلَّا بِمَا وَقَعَ وثَبتَ، وبعضُها للرثاء، ومنه قولُ أبي طالبٍ:

ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمَانِهَا ∴ إذَا عَدِمُوا زَادًا فَإنَّكَ عَاقِرُ (١).

وقولِه:

بَكَيْتُ أخَا اللَّأوَاءِ يُحْمَدُ يَومُهُ ∴ كَرِيمٌ رُءُوسَ الدَّارِعِيْنَ ضَرُوبُ(٢).

==

الشافية ١٠٣٢/٢ شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٠/١ البسيط ١٠٥٦/٢ التذييل والتكميل ٣١٢/١ تمهيد القواعد ٢٧٢٨/٦ المقاصد الشافية ٢٨١/٤ التصريح ٢٧٨/٣.

أخا الحرب: الملازم للحرب المستعد لها. جلالها:جمع(جُلّ) والمراد به ما يُلبَسُ في الحرب من الدروع ونحوها. الخوالف: جمع خالفة، وهي في الأصل عمود في مؤخرة الخيمة أو البيت، وأراد به البيت نفسَه. أعقلا: الذي تصطك ركبتاه في مشيه من خوفٍ أو وجع.

(١) البيت من الطويل، لأبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم يرثي ختنه أبا أمية بن المغيرة، وكان زوجًا لأخته عاتكة بنت عبدالمطلب. وهو في الكتاب ١١١/١ المقتضب ١١٣/٢أمالي ابن الشجري ١٠٦/٢ شرح الجمل لابن خروف ٥٥٣/١ شرح المفصل لابن يعيش ٧٠/٦ شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٠/١ البسيط ١٠٥٦/٢ شرح الكافية للرضي ٤٢١/٣ تمهيد القواعد ٢٧٢٨/٦ المقاصد الشافية ٢٨٣/٤ التصريح ٢٧٩/٣ خزانة الأدب ١٤٦/٨.

نصل السيف: شفرته. والضمير في (سمانها) يعود إلى الإبل. والمعنى أنه كريمٌ يُطعِمُ الطعامَ ويعقرُ الإبلَ السِّمَانَ عند عدم الزاد وشدة السنة.

(٢) البيت من الطويل، ونُسِبَ إلى كعب بن سعد الغنوي (جاهلي) كذا في الحماسة البصرية ٢٣٤/١ وهو في الكتاب ١١١/١ شرح ابن يعيش ٧١/٦ التذييل والتكميل ٣١١/١٠ تمهيد القواعد ٢٧٤٦/٦ المقاصد الشافية ٢٨٣/٤. اللأواء: الشدة. يُحْمَدُ يومُه: أي يُحمَدُ جميعُ حالِه، أمَّا في السّلم: فلكرمه وعطائه، وأما في الحرب: فلبسالته وإقدامِه. الدارعين: جمع اسم الفاعل (دارع) وهو مَن يلبسُ الدروع للحرب.

فإنَّه يَندُبُ ميّتًا، والنَّدبُ يكونُ بما عُرِفَ من صفاته واشْتُهِرَ به، فصِيَغُ المبالغة أُعْمِلَتْ وهي بمعنى الماضي[١].

وقد أُجِيبَ عمَّا استدلَّ به ابنُ خروفٍ من وجوه:

منها: أنَّ ما ذهب إليه ابنُ خروف هو رأيٌ تَفَرَّد به ولم يَقُلْ به أحَدٌ من النحويين قبلَه.

فقد ذَكَرَ ابنُ أبي الربيع أنه" يَجِبُ في هذه الأمثلة–إذا كانت بغير ألفٍ ولامٍ– أنْ يُشتَرَط في عملِهَا ما اشْتُرِطَ في عملِ اسمِ الفاعِل، ولا أعلَمُ في هذا خلافًا بين المتقدمين"[٢].

وقال الشاطبيُّ عن رأي ابنِ خروف:" وما قالَه خِلافُ ما اتّفَقَ عليه المتقدمون"[٣].

وهذا في حدِّ ذاتِه ليس مُتَّكَئًا لردِّ رأيِه واجتهادِه لو سَلِمَتْ له أدلَّتُه، لكنها لم تَسْلَم.

فقد أُجيبَ عمَّا ذهبَ إليه مِنْ أنَّ هذه الأمثلة أقوى في العَمَلِ من اسمِ الفاعِلِ؛ لِمَا فيها مِنْ معنى المبالغة بأنَّ " المُبَالغةَ والتكثيرَ لا تقتضِي تكثيرَ عَمَلٍ، وإلَّا لَزِمَ في (قَتَّل) أن يكونَ أوسعَ عملًا من (قَتَلَ)، وكذلك (كَسَّرَ) مع (كَسَرَ)، و(مُقَتِّل) مع (قاتِل)، وهذا كُلُّه غيرُ صحيحٍ بالاستقراء"[٤].

---

(١) البسيط ١٠٥٦/٢ شرح الجمل لابن عصفور ٥٦٥/١ التذييل والتكميل ٣١٩/١٠.

(٢) البسيط ١٠٥٦/٢.

(٣) المقاصد الشافية ٢٨٥/٤.

(٤) المقاصد الشافية ٢٨٦/٤.

وأيضًا فإنَّ جمعَ اسمِ الفاعِلِ فيه من الدّلَالةِ على الكثرةِ ما ليس في المفردِ، فإذا قلْتَ: هؤلاء ضُرَّابٌ زيدًا فكأنك قلتَ: هذا ضَارِبٌ زيدًا و هذا ضَارِبٌ زيدًا و هذا ضَارِبٌ زيدًا، لكن عَدَلْتَ إلى الجمع لِغَرَضِ الاختصارِ، "وكمَا أنَّ جمعَ اسمِ الفاعِلِ لا يَعملُ إلَّا في الموضعِ الذي يعملُ فيه المفردُ، فكذلك ينبغي أنْ تكونَ أمثلةُ المبالغة؛ لأنها فرعٌ عنه، والفرعُ لا يكونُ أقوى من الأصلِ"[1].

وأُجيبَ عمَّا استدلَّ به من أبيات المدح أو الرثاء بأنَّ ذلك محمولٌ على أنه حِكَايةُ حالٍ ماضيةٍ. فالشاعرُ يستحضرُ المآثرَ والمَحَامِد فيُصَوِّرُها كأنه تحدُثُ في الحالِ، وكأنَّ الميتَ مُنَزَّلٌ مَنزلةَ الحيِّ، ولهذا قال: (يُحْمَدُ يومُهُ)، فأتى بالمضارعِ –الذي من دلالته الحال– وليس بالماضي.

يقول ابنُ عصفور عن استدلالِ ابن خروف مِن السَّمَاعِ: "وهذا الذي ذَهَبَ إليه فاسدٌ، بل هو محمولٌ على حكايةِ الحالِ...."[2].

---

(1) البسيط لابن أبي الربيع ١٠٥٥/٢-١٠٥٦ المقاصد الشافية ٢٨٥/٤.

(2) شرح الجمل ٥٦٥/١. وبه أيضًا قال أبو حيان (التذييل والتكميل ٣١٩/١٠) وناظر الجيش (تمهيد القواعد ٢٧٤٧/٦) والعيني (المقاصد النحوية ١٤٢٦/٣)

٣- استعمالُ اسمِ الإشارة للقريب مشارًا به إلى البعيد.

اسمُ الإشارة نوعٌ من أنواعِ المَعَارِفِ، حيثُ يُعَيِّنُ مدلولَه بالإشارةِ إليه إشارةً حسِّيَّةً.

وتتنوَّعُ أسماءُ الإشارةِ بحَسَبِ حالِ المشار إليه من الإفرادِ أو التثنيةِ أو الجَمْعِ، والتذكيرِ أو التأنيثِ، والقُرْبِ أو البُعْدِ، أو التوسُّطِ بينهما-على رأي جمهور النحويين-(١).

فأسماءُ الإشارة للقريب (ذا) للمفرد المذكر، و(ذِه، وتِه) وأخواتهما للمفردة المؤنثة، و(ذان، وتان) - بالألف رفعًا وبالياء نصبًا وجرًّا- للمثنى مذكرًا ومؤنثًا، و(أُولَى) مقصورة أو ممدودة للجمع مطلقا. وتلحقها (ها) التنبيه في أولها.

فإذا كان المُشَارُ إليه بعيدًا لحقته كافُ الخطابِ وحدها، أو الكافُ مع لام البُعدِ، فيصير: ذاك، أو ذلك. ومَنْ يرى أنَّ بين القريب والبعيدِ درجةَ توسُّط يجعلها إذا كانت مقترنةً بالكاف وحدها للتوسط، فيقول: ذا، ثم ذاك، ثم ذلك.

ولمَّا كانت الإشارةُ إلى المدلولِ إشارةً حِسّيّةً، -أي: بالجوارح والأعضاء- وليست عقليةً، استلزمَ ذلك أنْ يكونَ المشارُ إليه محسوسًا بالبصر حاضرًا، يستوي في حضُورِهِ أنْ يكونَ قريبًا أو بعيدًا.

---

(١) شرح الكافية للرضي٢/٤٨٠ التصريح ١/٤٠٠ ت د/ عبد الفتاح بحيري إبراهيم حاشية يس ١/١٣٠.

يقول الرضي عن المشار إليه:" هو ما أُشيرَ إليه إشارةً حسيَّةً، أي: بالجوارح والأعضاء، لا عقليةً ....فالأصلُ على هذا ألَّا يُشارَ بأسماءِ الإشارةِ إلَّا إلى مُشَاهَدٍ محسوسٍ، قريبٍ أو بعيدٍ..."[١].

وقد جاءت صورٌ من الإشارة على خلاف هذا الأصل:

مِن ذلك أنْ يُشارَ بها إلى محسوسٍ غيرِ مُشَاهَدٍ تنزيلًا له منزلةَ المشَاهد، كما في قولِه تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[٢] أو يُشَارَ بها إلى ما يَسْتَحِيلُ إحساسُهُ ومشاهدتُهُ كما في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾[٣] وقولِهِ تعالى: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[٤]

تنزيلًا له منزلة المشَاهَدِ المحسوسِ على سبيل الاستعارةِ التصريحية[٥] أو يُستعملَ اسمُ الإشارةِ الموضوعِ للبعيدِ مُشَارًا به إلى القريب؛ لعظمةِ المُشيرِ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾[٦]

---

(١) شرح الكافية ٤٧٢/٢ وينظر أيضًا شرح المفصل لابن يعيش ١٠٠/٤ حاشية الصبان ٢٢٧/١.

(٢) سورة مريم آية ٦٣.

(٣) سورة الشورى من الآية ١٠.

(٤) سورة يوسف من الآية ٣٧.

(٥) شرح الكافية للرضي ٤٧٢/٢ حاشية الصبان ٢٢٧/١.

(٦) سورة طه آية ١٧.

أو لعظمةِ المُشَارِ إليه كما في قولِه تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾[1] وقولِهِ تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[2] فأشارَ بما يُشَارُ به إلى البعيد إعظامًا وإجلالًا[3].

ومِنَ الصُّوَرِ التي جاءَتْ على خِلافِ الأصْلِ استعمالُ اسمِ الإشارةِ الموضوعِ للقريبِ مُشَارًا به إلى البعيدِ، كما في قولِه تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾[4]

حيثُ استُعْمِلَ اسمُ الإشارةِ الموضوعِ للحاضر القريبِ، فقال:(هَذَا مِن شِيعَتِهِ) و(وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) ولم يكن المُشَارُ إليه حاضرًا ولا موجودًا؛ وذلك حكايةٌ للحالِ الماضيةِ[5]، بغرض استحضار تلك الصورة، وتقدير وجودِ المشار إليه.

فقد ذكر الإمام عبد القاهر عن هذه الآية أنه "جاءَ اسمُ الإشارةِ وإنْ لم يكنْ هناك شيءٌ يُشَارُ إليهِ؛ لأنَّ القصْدَ حكايةُ الحالِ المنقضيةِ"[6].

---

(1) سورة الشورى من الآية ١٠.

(2) سورة يوسف من الآية ٣٢.

(3) شرح التسهيل لابن مالك ٢٤٨/١ التذييل والتكميل ٢٠٦/٣-٢٠٧.

(4) سورة القصص من الآية ١٥.

(5) ينظر في ذلك التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ٩٥ نتائج الفكر للسهيلي ٩٣ شرح المفصل لابن يعيش ٧٧/٦ شرح التسهيل لابن مالك ٢٤٩/١ البسيط لابن أبي الربيع ١٠١٣/٢ التذييل والتكميل ٢٠٧/٣ المساعد ١٩١/١ تمهيد القواعد ٨١٢/٢ المقاصد الشافية للشاطبي ٢٦٣/٤.

(6) المقتصد في شرح الإيضاح ٥١٣/١.

وقال عنها أبو الحسن الباقولي: إنَّ الله" حكى تلك الحالةَ حيثُ قال: (هذا). و(هذا) يُشَارُ بها إلى الحاضر، وحين قَصَّ اللهُ القصةَ على النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن المُشَارُ إليهما حاضِرَيْنِ، ولكنه حكى تلك الحالة"(١).

وقال أبو حيان:" وهذه حِكَايةُ حالٍ، وقد كانا حاضِرَيْنِ حالةَ وِجْدَانِ موسى لهما، ولِحِكَايةِ الحالِ عبَّرَ عن غائبٍ ماضٍ باسم الإشارةِ الذي هو موضوعٌ للحاضِر"(٢).

كَمَا ذَكَرَ ابنُ هشامٍ أنَّه "ليسَ المُرَادُ تَقْرِيْبَ الرَّجُلَيْنِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم كَمَا تقولُ: هذا كِتَابُكَ فَخُذْهُ، وإنَّمَا الإشَارَةُ كانتْ إليهما في ذلك الوقتِ، فَحُكِيَتْ"(٣).

ومما وَرَدَ من ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاء وَهَؤُلَاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ﴾(٤) بعد ما قال – جلَّ شأنُه–: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ. . . .﴾ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ. . .﴾(٥) وإنْ لم يكنْ المُشَارُ إليه حاضرًا وقتَ إخبارِ اللهِ لنبيه صلى الله عليه وسلم بذلك، لكنه حَكَى هذه الحالَ الماضِيَةَ؛ استحضارًا لها.

---

(١) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ٧٤٨/٢.

(٢) البحر المحيط ١٠٤/٧ وينظر أيضا الدر المصون ٦٥٧/٨.

(٣) مغني اللبيب ٦٩١/٦.

(٤) سورة الإسراء من الآية ٢٠.

(٥) سورة الإسراء من الآيتين ١٨–١٩.

ومنه أيضًا قولُه تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]

فـ(هذا) اسمُ إشارةٍ مشارٌ به إلى الدخان المبين، واختلفَ العُلَمَاءُ في حقيقةِ هذا الدُّخَانِ الذي أَمَرَ اللهُ بارتقابِهِ، فَقِيل: هو دُخَانٌ يَجِيءُ قبلَ يومِ القيامةِ يُصِيبُ المؤمنَ منه مثلُ الزُّكامِ، ويُنْضِجُ رُؤوسَ الكافرين والمنافقين. وقيل: هو الغبارُ الذي يتصاعدُ من الأرضِ من جرَّاءِ الجفافِ والجَدْبِ، فإنَّ العربَ تُسَمِّي الغبارَ الذي تُثِيرُه الرياحُ مِنَ الأرضِ دُخانًا، وحُمِلَ ذلك على دعوة النبي صلى الله عليه وسلم على أهل مكة بسبعٍ كسبع يوسف. واختلفوا كذلك في وقته.

يقول القرطبيُّ:"فمَنْ قال: إنَّ الدُّخانَ قد مَضَى، فقولُهُ: (هذا عذابٌ أليمٌ) حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، ومَنْ جَعَلَه مستقبلًا فهو حِكَايةُ حالٍ آتيةٍ"[2].

([1]) سورة الدخان الآيتين ١٠، ١١.

([2]) الجامع لأحكام القرآن ١٣٢/١٦. وينظر أيضًا المحرر الوجيز ٦٩/٥ التحرير والتنوير ٢٨٦/٢٥.

٤- تَوجِيْهُ قِرَاءَةِ تَشْدِيدِ الدَّالِ مِنَ المُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:(لَولا أن تداركه نعمة من ربه).

مِنْ مَعَانِي (لَولَا) أنْ تكونَ امتناعِيَّةً، فتدلُّ على امتناعِ شيءٍ لِوُجُودِ غيرِه. ويُسَمِّيْهَا النحويونَ اختصارًا: حَرْفَ امتناعٍ لِوجُودٍ.

وهي تقتضي جملتين، تُعَلِّقُ إحْدَاهُمَا بالأخْرَى وتَرْبِطُهَا بها كما تفعلُ أدواتُ الشَّرْطِ، وتختصُّ بالجملة الاسمية، لذا تكونُ الأُوْلَى مبتدأً وخبرًا، والثانيةُ فعلًا وفاعلًا.

وتتعـدَّدُ صُـوَرُ المبتـدأِ فـي الجملـةِ الأُولَـى، فيكـونُ اسـمًا، نحـو قولِـهِ تعالى: ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾[1]، أو مصدرًا صريحًا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾[2]، أو مصدرًا مؤوَّلًا مِنْ (أنْ) والفعل الماضي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾[3]، أو مصدرًا مؤولًا مِنْ (أنْ) والفعل المضارع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيدِيهِمْ﴾[4]

---

(1) سورة هود من الآية ٩١.

(2) تكررت غيرَ مرة في القرآن الكريم ينظر سورة النساء من الآية٨٣، ١١٣ وسورة النور من الآيات ١٠، ١٤، ٢٠، ٢١.

(3) سورة الأعراف من الآية ٤٣.

(4) سورة القصص من الآية ٤٧.

وقد تعدَّدت القراءاتُ للفعلِ (تَدَارَكَه) في قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاء وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[1]. فقرأ الجمهورُ: (تَدَارَكَهُ) ماضيًا، مُخَفَّفَ الدالِ، لم تَلْحَقْهُ تاءُ التأنيثِ؛ حَمْلًا على معنى النعمة؛ لأنَّ تأنيثَها غَيْرُ حقيقيّ، وأيضًا للفَصْلِ بين الفعلِ ومرفوعِه بالضمير[2].

وقَرَأَ عبدُالله بنُ مسعودٍ، وابنُ عبَّاسٍ: (تَدَارَكَتْهُ) بتاء التأنيث؛ مُرَاعَاةً للفظ (النعمة).

وقرأ ابنُ هُرْمُز (الأعرج)، والحسنُ البصري، والأعمش: (تَدَّارَكَهُ) بتشديد الدَّال، وهو مُضَارِعٌ، أصْلُه تَتَدَارَكَهُ، قُلِبَتْ التَّاءُ الثانيةُ دالًا، وأُدْغِمَتْ الدَّالُ في الدَّالِ.

ورَدَّ هذه القراءةَ أبو حاتم السجستاني، معلِّلًا ذلك بأنَّ الفعلَ على قراءةِ الجُمْهُورِ ماضٍ، وعلى هذه القراءة يكونُ مُضَارِعًا، مع أنَّ أحداثَه مَضَتْ، وانْقَضَتْ، وعَزَا هذه القراءةَ إلى الخطأِ مِمَّنْ قَرَأَ بها، أو الخطأِ في النقل عنهم.

يقول ابنُ جني:" ورَوَى هذه القِرَاءَة أبو حاتم عن الأعْرَجِ لا غيرُ، وقال بعضُهم: سَأَلتُ عنها أبا عَمْرٍو فقال: لا. قال أبو حاتم: لا يجوزُ ذلك؛ لأنه

---

(1) سورة القلم آية ٤٩. وينظر في القراءات الواردة في الآية: المحتسب لابن جني ٣٢٦/٢ مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ١٦٠ إعراب القراءات الشواذ للعكبري ٦١٠-٦١١.

(2) الكشاف ١٩٢/٦ البحر المحيط ٣١١/٨ المحرر الوجيز ٣٥٤/٥ حاشية الجمل ٤٠٧/٤.

فعلٌ ماضٍ، وليستْ فيه إلَّا تاءٌ واحدةٌ، ولا يجوز: تَتَدَارَكُه، وهذا خطأٌ منه، أو عليه"[1].

وقد ردَّ عليه ابنُ جني تَخْطِئَةَ القِرَاءَةِ، والمُسَارَعَةَ في رَدِّهَا دُوْنَ الاجتهادِ في إيْجَادِ وُجُوهِ التَّخرِيجِ المُنَاسِبَةِ لَهَا، حيثُ يَرَى ابنُ جني أنَّهَا تَحْتَمِلُ التَّخرِيجَ على حكاية الحال المَاضِيَةِ؛ بغَرَضِ تَقْرِيبِهَا، واستحضارِ أَحْدَاثِهَا، استشعارًا لِنعمَةِ الله على نبيه يونس-على نبينا وعليه الصلاة والسلام- بإخْرَاجِهِ مِنْ بَطْنِ الحُوتِ، ولولا ذلك لَنُبِذَ بالعَرَاءِ وهو مَذْمُومٌ، أو لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يومِ يُبْعَثُونَ.

"قال أبو الفتح: قَوْلُ أبي حاتم: هذا خَطَأٌ. لا وَجْهَ له، وذلك أنَّه يَجُوزُ على حِكَايةِ الحَالِ المَاضِيَةِ المُنْقَضِيَةِ، أي: لولا أنْ كان يُقَالُ فيه: تَتَدَارَكَهُ، كما تقولُ: كان زيدٌ سيقومُ، أي: كان مُتَوَقَّعًا منه القِيَامُ، فكذلك هذا، لولا أنْ يُقَالَ: تَتَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِن ربِّهِ لَنُبِذَ بالعَرَاءِ"[2].

وفي البحر المحيط بعد أنْ ذَكَرَ القِرَاءَةَ ومَوْقِفَ أبي حاتم منها:" وقالَ بعضُ المتأخرين: هذا لا يجوزُ على حكايةِ الحَالِ المُقْتَضِيَةِ، أي: لو كانَ يُقَالُ: تَتَدَارَكَهُ. ومعناه: لولا هذه الحَالُ المَوجُودَةُ كانتْ له مِنْ نِعَمِ الله لَنُبِذَ بالعَرَاءِ، ونَحْوُهُ: **(فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ)**[3]"[4].

([1]) المحتسب ٣٢٦/٢.

([2]) المحتسب ٣٢٧/٢ وينظر أيضًا الدر المصون ٤٢٠/١٠ تفسير أبي السعود(إرشاد العقل السليم) ٣٧٨/٥ حاشية الجمل ٤٠٧/٤.

([3]) سورة القصص من الآية ١٥.

([4]) البحر المحيط ٣١١/٨.

وأحْسَبُ أنَّ في نَصِّ أبي حيانَ خَطَأً بإقحام (لا)، والصَّوَابُ بدونها، وذلك مِنْ وُجُوه:

أحَدُها: السِّيَاقُ، فإنَّ مَنْ يتأمَّلُ النَّصَّ بأكمَلِهِ يَجِدُ أنَّ هذا حديثُ مَنْ يُقرِّرُ الحَمْلَ على حكاية الحال، ويُنَظِّرُ له، لا مَنْ يُضَعِّفُهُ ويَرُدَّهُ. كمَا يَلْحَظُ مَا بَيْنَ عِبَارَةِ ابنِ جِنّي وأبي حيَّان مِنْ تَوَافُقٍ- لو حُذِفَتْ (لا)-.

وثانيهَا: أنَّه لم يَسْبِقْ لأبي حيَّان حَدِيثٌ عن جَوَازِ حِكَاية الحالِ، حتى يكونَ هذا هو الجَانِبُ الآخَرُ أو الرَّأيُ المُخَالِفُ، بل الذي سَبَقَ هو رأيُ أبي حاتم الذي يَرُدُّ القراءةَ جُمْلَةً، ويَحْكُمُ بِخَطَئِهَا. وهذا في حدِّ ذاتِهِ يُؤَيّدُ القولَ بإقحامِ (لا)، وأنَّ أبا حيان يقصِدُ الإشارةَ إلى تخريجِ ابنِ جنّي للقراءةِ بالحَمْلِ على حِكَايةِ الحَالِ المَاضِيَةِ المُنْقَضِيَةِ، بعدما ذَكَرَ رَأْيَ أبي حاتم.

وثالثُهَا: إذا لم يكنْ أبو حيان يقصِدُ بـ(بعض المتأخرين) ابنَ جني[1] فإنَّه يغلُبُ على ظَنّي أنَّه يقصِدُ الزمخشريَّ، أو ابنَ عطية، وكِلَاهما أوْرَدَ القِرَاءَةَ وحَمَلَهَا على حِكَاية الحَالِ المَاضِيَةِ في عبارةٍ قريبةٍ مِنْ عِبَارةِ أبي حيان.

فيقول الزمخشريُّ:" وقَرَأَ الحَسَنُ: تَدَّارَكَهُ، أي: تَتَدَارَكَهُ، على حِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ، بمعنى: لولا أنْ كانَ يُقَالُ فيه: تَتَدارَكَهُ، كما يُقَالُ: كان زيدٌ سَيَقُومُ فمَنَعَهُ فُلَانٌ، أي: كان يُقَالُ فيه سيقومُ، والمعنى: كان مُتَوَقَّعًا منه القيامُ"[2].

وقال ابنُ عطيةَ:" وقَرَأ ابنُ هُرْمُز، والحَسَنُ: تَدَّارَكَه، بتشديد الدالِ، على معنى: تَتَدَارَكَهُ، وهي حكايةُ حالٍ تامٍّ، فلذلك جاءَ الفعلُ مُستقبلًا، بمعنى:

---

(1) جريًا على عادة ابن مالك في إطلاق هذا اللقب على متأخري نحاة البصرة من أمثال ابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، ينظر شرح التسهيل ١/٢٥٣، ٢/٢٧٣، ٣١٧.

(2) الكشاف ٦/١٩٢.

لولا أنْ يُقَالَ فيه تَتَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِن رَبِّهِ، ونَحْوُهُ قولُهُ تعالى:(فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ)"[1].

رابعُهَا: أنَّ في الكلامِ عبارةٌ أخرى غيرُ مستقيمةٍ- فيما يَظْهَرُ لي-، مما يدُلُّ على أنَّ في النصِّ اضطرابًا، وهي وَصْفُ الحالِ بـ(المُقتضِيَةِ)، والصَّوَابُ: (المُنْقَضِيَة) أي: المَاضِيَة، كما في عبارة ابن جني، وهي تُنَاسِبُ حكاية الحالِ، أمَّا المُقْتَضِيَة: فهي اسمُ فاعلٍ من الفعلِ (اقتضَى) بمعنى: طَلَبَ.

هذا ما تَرَجَّحَ عندي، والله أعلم، ولم أقفْ على أحدٍ من المتأخرين يَرُدُّ توجيهَ ابنِ جنّي للقراءةِ بالحَمْلِ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ.

(1) المحرر الوجيز ٥/٣٥٤.

٥- وَضْعُ الفِعْلِ المُضَارِعِ مَوضِعَ المَاضِي.

ذَكَرَ النحويون أنَّ الأزمنةَ ثلاثةٌ، الزَّمَنُ الماضي، والحالُ والمستقبلُ، وأنَّ الأفعالَ تنقسمُ مِنْ حيثُ دَلالتها الزمنيةِ إلى: ماضٍ، ومُضَارعٍ، وأمْرٍ[١].

فالفعلُ الماضي يدُلُّ بحَسَبِ وَضْعِه على حَدَثٍ وَقَعَ في زمنٍ مَضَى وانْقَضَى[٢]. والمُضَارعُ يدلُّ بحَسَب وَضْعِهِ على حَدَثٍ، وزَمَانٍ غيرِ مُنْقَضٍ، حاضرًا كان أو مستقبلًا. وأمَّا الأمر فإنه يُطْلَبُ به مِنَ المُخَاطَبِ تنفيذُ شَيْءٍ لم يكُنْ حَاصِلًا وقتَ الطَّلَبِ.

وقد وَرَدتْ شواهدُ وُضِعَ فيها الفعلُ المُضَارعُ مَوضِعَ الماضي؛ حيث استُخْدِمَ للدَّلَالةِ على حَدَثٍ وَقَعَ وانْقَضَى، وكان المُنَاسِبُ - بِحَسَبِ الدَّلَالَةِ الزَّمَنِيَّةِ- أنْ يُعَبَّرَ عنها بِصِيغَةِ الفعلِ المَاضِي، لكنْ عُبِّرَ عنها بالمُضَارِعِ بغَرَضِ حِكَايةِ هذه الحالِ المَاضِيَةِ، واسْتِحْضَارِ صُورَتِهَا وتَقْرِيْبِهَا حتى

---

(١) هذا مذهبُ البصريين والجمهور، خلافاً للكوفيين والأخفش فيما ذهبوا إليه من أنه ينقسمُ إلى ماضٍ ومضارعٍ فقط، أمَّا الأمرُ فإنه مُقتَطعٌ من المضارع، وأنَّ الأصْلَ في الأمر للمواجَهِ في نحو(افعلْ): لِتَفْعَلْ، كما قالوا في الأمر للغائب: ليَفْعَلْ، إلاَّ أنه لمَّا كثُرَ استعمالُ الأمرِ للمُواجَهِ في كلامهم وجرى على ألسنتهم أكثرَ من الغائب استثقلوا مجيء اللام فيه -مع كثرة الاستعمال- فحذفوها مع حرف المضارعة طلباً للتخفيف، وبنوا على ذلك أنَّ فعلَ الأمر ليس مبنياً، وإنما هو معربٌ مجزومٌ بلام الأمر المحذوفة. ينظر في ذلك معاني القرآن للفراء ٤٦٩/١-٤٧٠ المقتضب ٤٣/٢-١٣١، ٤٤ الإنصاف ٤١٤/٢ أسرار العربية ٢٨٠ التبيين ١٧٦ شرح المفصل لابن يعيش ٥٨/٧ شرح الجمل لابن عصفور ١٢٧/١ البسيط لابن أبي الربيع ٢٢٤/١ المغني ٢٣٦/٣ تمهيد القواعد لناظر الجيش ٦٧/١ التصريح ٢٠٠/١.

(٢) شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي ٩٨-٩٩ شرح كتاب الحدود للأبدي ٤١-٤٣.

لَكَأَنَّ أَحْدَاثَهَا ما تَزَالُ جاريةً يتصوَّرها القارئُ أو السَّامعُ؛ ليتعجَّبَ من ذلك(١).

من ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ (٢)

فقد عبَّرَ اللهُ –عزَّ وجلَّ– عن خَلْقِ آدمَ –عليه السلام– وتَكَوُّنِهِ بالفعلِ المُضَارعِ (يكون)، والمعنى ماضٍ، إذ التقديرُ: كُنْ فَكَانَ، أي: عَلَى الهيئةِ التي قدَّرها اللهُ–عزَّ وجلَّ–.

يقول الزمخشريُّ معلِّلًا التعبيرَ بالفعلِ المضارع عن المعنى الماضي:" (فيكونُ) حِكايةُ حالٍ ماضيةٍ"(٣).

كما صرَّح الطاهرُ بنُ عاشور بأنه :" إنما قال:(فيكونُ) ولمْ يَقُلْ:(فَكَانَ) لاسْتِحْضَارِ صُورَةِ تَكَوُّنِهِ"(٤)، وذلك بغَرَضِ إثارةِ التَّعجُّب مِنْ هذا النَّمَطِ الفريدِ مِنَ الخلْقِ والتَّكوينِ، وما يتضمنه مِنَ الرَّدّ على النَّصَارى الذين يَزْعُمُونَ أنَّ عيسى ابنُ اللهِ، فإنَّ آدمَ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، دُوْنَ أبٍ أو أمٍ ولَمْ يَكُنْ لِذلِكَ ابنًا للهِ، فكذلك عيسى، وقد خَلَقَهُ اللهُ مِنْ أمٍّ دُوْنَ أبٍ.

---

(١) شرح الكافية للرضي ٤١٩/٣.

(٢) سورة آل عمران آية ٥٩.

(٣) الكشاف ٥٦٣/١ وينظر أيضًا البحر المحيط ٥٠٢/٢ مغني اللبيب ٦٩٢/٦ الدر المصون ٢٢٠/٣ إرشاد العقل السليم ٤٥/٢ غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ١٧٤/٢ فتح القدير للشوكاني ٣٩٧/١.

(٤) التحرير والتنوير ٢٦٤/٣.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1]

حيث عبَّرَ اللهُ- سبحانه وتعالى- بالفعلِ المُضَارعِ (نُرِي) مع أنَّ الإراءَة كانتْ في الماضي؛ حكايةً للحالِ الماضيةِ، قال الزمخشري:" و(نُرِي) حكايةُ حالٍ ماضيةٍ"[2] واستحضارًا لتلك الإرَاءَةِ العجيبةِ التي حدثتْ لخليلِهِ إبراهيمَ- على نبينا وعليه الصلاة والسلام- وهو يبحث بفطرتِهِ السَّلِيمَةِ عن الإلَهِ الحَقِّ الذي يَسْتَشعِرُهُ في أعماقِهِ بينما يَصْطَدِمُ في الواقعِ بتصوُّرَاتٍ منحرفةٍ للإله في هيئةِ نُجُومٍ أو كواكبَ أو أصنامٍ، وقد أنارَ اللهُ بصيرتَه وأرَاهُ ملكوتَ السمواتِ والأرضِ لِيَهتدِي قلبُه، ويطمئنَّ بالوصُولِ إلى الإلِهِ الحقِّ.

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾[3]

حيث عبَّر الله-عزَّ وجلَّ- بالفعل المضارع (يصنع) حكايةً لحالِ سيدنا نوحٍ وهو يَصْنَعُ السفينةَ، واستحضارًا للمشهدِ حتى إنَّنا لَنَرَاهُ ماثلًا لخيالنا مِن وَرَاءِ هذا التعبيرِ(ويصنع الفلك) وَنَرى جَمَاعَاتِ قومِهِ المتكبِّرِينَ يَمُرُّونَ به فيَسْخَرُونَ مِنْهُ.

يقول أبو حيان:" (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) حكايةُ حالٍ ماضية"[4].

---

(1) سورة الأنعام من الآية ٧٥.

(2) الكشاف ٣٦٦/٢ وينظر أيضًا البحر المحيط ١٧٠/٤ الدر المصون ٥/٥ فتح القدير ١٥٢/٢.

(3) سورة هود من الآية ٣٨.

(4) البحر المحيط ٢٢١/٥.

ويقول الطاهرُ ابنُ عاشور:" (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ): وَصَنَعَ الفلك، وإنَّمَا عبَّرَ عن صُنْعِهِ بصيغة المضارع؛ لاستحضار الحالة لتخييلِ السَّامِعِ أنَّ نوحًا عليه السلام بِصَدِدِ العَمَلِ"[١].

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾[٢]

حيث عبَّرَ الله–عز وجلَّ– بصيغة المضارع (نُرِيدُ) في حكايةِ إرادةٍ مَضَتْ.

يقول الزمخشري:" (وَنُرِيدُ) حكايةُ حالٍ ماضيةٍ"[٣] ؛لاستحضار ذلك الوقت الذي تسلَّطَ فيه فرعونُ على بني إسرائيلَ يَسُومُهُم سُوءَ العَذَابِ، يُذَبِّحُ أبناءَهم ويَسْتَحيي نِسَاءَهم. فـ"فرعونُ يريد أنْ يَطغَى عليهم، واللهُ يُريدُ في ذلك الوقتِ إبطالَ عملِه، وجعْلَهم أُمَّةً عظيمةً"[٤].

كما أنَّ التعبير بالفعل المضارع يفتحُ بابَ الأَمَلِ أَمَامَ الأُمَمِ المُسْتَضْعَفَةِ بأنَّ إرادةَ اللهِ لَهَا بالخَلَاصِ والنَّجَاةِ حاضِرَةٌ مُتَجَدِّدَةٌ، وليستْ ماضيةً مُنقطِعَةً.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٥]

---

(١) التحرير والتنوير ٦٧/١٢ وينظر أيضًا إرشاد العقل السليم٢٠٦/٤ فتح القدير٥٦٤/٢ روح المعاني٢٤٨/٦.

(٢) سورة القصص من الآية ٥.

(٣) الكشاف ٤٨٢/٤ وينظر أيضًا مغني اللبيب ٦٩٢/٦ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٢٨/٥ إرشاد العقل السليم ٣/٧.

(٤) التحرير والتنوير ٧٠/٢٠.

(٥) الآية ٩١ من سورة البقرة وينظر فيها البحر المحيط ٤٧٥/١ غرائب القرآن للنيسابوري ٣٣٤/١.

فالقتْلُ حَصَلَ فِيمَا مَضَي، يَدُلُّ علَى ذلك أنَّ هؤلاء الذينَ بِحَضْرَةِ النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يَصْدُرْ منهم قتلُ الأنبياءِ، وأنَّه تعالى قيَّدَه بقولِه: (مِن قَبْلُ)، فَدَلَّ ذلك علَى تَقَدُّمِ القتلِ، لكِنَّه عبَّرَ عنه بالفعلِ المضارِعِ (تَقْتُلُونَ) اسْتِحْضَارًا لهذه الصُّورَةِ الشَّنِيعَةِ مِن قتْلِ أنبياءِ الله، فَخَلَعَ على المَشهَدِ صُورَةَ الحَيَاةِ والحَرَكةِ بِجَعْلِهِ مَاثلًا أمامَ عَيْنِ الرَّائِي.

قال الرَّضي:" وإنَّمَا يُفْعَلُ هذا بالفِعلِ المَاضِي المُسْتَغْرَبِ، كأنَّكَ تُحْضِرُهُ للمُخَاطَبِ، وتُصَوّرُهُ له لِيَتَعَجَّبَ منه"(١).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾(٢) وفي معناها قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ﴾(٣)

فَسَومُ فرعونَ بَنِي إسْرَائيلَ سُوءَ العَذابِ وتَذْبِيحَ الأبنَاءِ أحْدَاثٌ ماضِيَةٌ، غَيْرَ أنَّه عبَّرَ عنها بالفعلِ الذي يَدُلُّ علَى الحالِ، وهو المضارعُ فقال: (يَسُومُونَكُمْ) و (يُذَبِّحُونَ) و(يَسْتَحْيُونَ) بغرض "حكاية حالٍ ماضية"(٤) وذلك لقصْدِ إحْضَارِ مَشْهَدِ التَّعذِيبِ أمَامَ العَيْنِ، فكأنَّكَ تُشَاهِدُ آلَ فِرْعَونَ بأيدِيهم المُدَى يُذَبِّحُونَ الأبْنَاءَ، ويَسْتَحْيُونَ النِّسَاءَ.

(١) شرح الكافية للرضي ٤١٩/٣.

(٢) سورة البقرة من الآية ٤٩.

(٣) سورة إبراهيم من الآية ٦.

(٤) البحر المحيط ٣٥١/١. وينظر أيضًا المقتصد في شرح الإيضاح ٥١٣/١.

إلى غيرِ ذلك مِنَ الآياتِ التي عَبَّر اللهُ–عزَّ وجلَّ– فيها عنْ أحداثٍ مَضَتْ بالفعلِ المضارِعِ بِغَرَضِ حِكَايَةِ هذه الحَالِ المَاضِيَةِ ؛ لاستحضارِ صُورَتِهَا وإثارةِ التَّعَجُّبِ منها في النُّفُوسِ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ* وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[2]. ومنه قولُ الشاعر:

جَارِيَةٌ فِي رَمَضَانَ المَاضِي ∴ تُقَطِّعُ الحَدِيْثَ بِالإيمَاضِ[3].

([1]) سورة هود الآية ٧٤. وينظر فيها الكشاف ٢١٧/٣ البحر المحيط ٢٤٥/٥ الدر المصون ٣٦٠/٦ تمهيد القواعد لناظر الجيش ٢١٤/١.

([2]) سورة هود الآيتين ١٠–١١ وينظر في ذلك الكشاف ٤٠٠/٣ البحر المحيط ٤٣٥/٥ الدر المصون ١٤٦/٧ روح المعاني ٢٦٤/٧.

([3]) البيت من الرجز، في ملحقات ديوان رؤبة (١٧٦) برواية:

لقد أتى في رمضان الماضي ∴ جاريةٌ في درعها الفَضْفَاضِ

تُقَطِّعُ الحديثَ بالإيماضِ ∴ أبيضَ من أختِ بني أباضِ.

وتجده في التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ٩٤ الإنصاف ١٢٤/١–١٢٥ التبيين للعكبري ٢٩٣ شرح المفصل لابن يعيش ٩٣/٦، ١٤٧/٧ شرح الكافية للرضي ٤٥٠/٣ والخزانة ٢٣٠/٨ مغني اللبيب ٦٩٣/٦ وشرح أبياته للبغدادي ٩٤/٨.

والمراد بـ(تقطع الحديث بالإيماضِ): أنها إذا ابتسمت وكان الناسُ على حديثٍ قطعوا حديثَهم، ونظروا إلى حُسْنِ ثغرها. وقيل: المراد أنهم إذا تحدثوا فأومضتْ إليهم، أي: نظرت، شَغَلَهم حُسْنُ عينيها فقطعوا حديثَهم. و ذلك أنَّ الإيماض: هو ما يبدو من بياضِ الأسنانِ عند الضحك والابتسامِ، شبهه بوميض البرق.

حيثُ عبَّرَ بالمُضَارِعِ (تُقَطّعُ) عنْ فِعْلِهَا في (رَمَضَانَ المَاضِي) حِكَايَةً للحَالِ المَاضِيَةِ، واسْتِحْضَارًا للحَدَثِ المُحَبَّبِ إلى الشَّاعِرِ؛ لِينتبه السَّامِعُ ويُقْبِلَ عليه.

٦- عَطْفُ الفِعْلِ المُضَارِعِ عَلَى المَاضِي.

عَطْفُ النَّسقِ هو: حَمْلُ اسمٍ على اسمٍ، أو فِعلٍ على فِعلٍ، أو جُملةٍ على جُمْلَةٍ، بشرطِ توسّطِ حرفٍ من الحروف التي وَضَعَهَا العربُ لذلك.(١)

فالعطفُ كما يكونُ بين الأسماءِ يكونُ أيضًا بين الأفْعَالِ(٢)، وبين الجُمَلِ.

وقد اشترط النَّحْويونَ لِجَوَازِ العطفِ بين الأفعالِ أنْ يَتَّحِدَ الفعلانِ في الزَّمَنِ مِنْ حيثُ المضِيّ والاستقبالِ، سواءٌ أتَّحَدَ نوعاهما أم اختلفا، وإنْ كانَ الأحْسَنُ أنْ يتَّفِقَا أيضًا في النَّوعِ.

فقد ذكر ابنُ عصفور أنَّه" لا يجوزُ عَطْفُ فِعْلٍ على فِعْلٍ إلَّا بشرْطِ أنْ يتفقا في الزَّمَانِ، فلا يجوزُ أنْ تَعْطِفَ ماضيًا على مستقبلٍ، ولا مستقبلًا على ماضٍ، والأحسنُ أنْ يَتفِقَا في الصيغةِ مَعَ اتفاقِهِمَا في الزمانِ"(٣).

---

(١) شرح الجمل لابن عصفور ٢٢٣/١.

(٢) عطفُ الفعلِ على الفعلِ تارةً يكون من عطف المفردات، وتارةً يكون من عطف الجمل.

فيكون من عطف المفردات إذا تأثَّرَ الفعلُ بناصبٍ أو جازمٍ، أو كان في موضِعِ ما يتأثر، نحو قوله تعالى: **{أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}** البقرة ٢٨٢ وقوله تعالى:{ **وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ}** البقرة ٢٨٤. فإنَّ حروف العطفِ تفيدُ تشريك الفعلِ الثاني في حكمِ الفعلِ الأولِ من النصبِ أو الجزم دون اعتبار بمرفوعهما، إذ الأفعالُ- بمفردها- هي مطلوبُ أدوات النصب أو الجزم، ولا ضيرَ بعد ذلك أنْ يكون الفاعلُ مطلوبَ الأفعال.

وإذا لم يتعيَّن ذلك يكونُ مِنْ عطفِ الجملةِ على الجملة. ينظر المقاصد الشافية ١٨٤/٥-١٨٥ بتصرف.

(٣) شرح الجمل ٢٥٠/١ وينظر أيضًا شرح التسهيل لابن مالك ٣٨٣/٣ التذييل والتكميل ٢١٠/١٣ المقاصد الشافية ١٨٢/٥ التصريح ٦١٨/٣.

فَمِن اتفاقِهِمَا في الصِّيغَةِ مع اتفاقِهِمَا في الزمانِ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم﴾[1] وقولُهُ تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾[2].

وقد وَرَدَتْ شَوَاهِدُ قرآنيةٌ كثيرةٌ اختلفَ فيها الفعلانِ المتعاطفانِ في الصيغةِ، فعُطِفَ الفعلُ المضارعُ على الماضي مع اتفاقِهِمَا في الزَّمَنِ، حيثُ دلَّ المضارعُ على حَدَثٍ وَقَعَ وانقضى.

وأوَّلَ العلماءُ ذلك بأنَّهُ يَرْجِعُ إمَّا إلى علَّةٍ معنويةٍ أو لفظيةٍ. ومِنَ العِلَلِ المعنوية التي أوْرَدَهَا العلماءُ في ذلك قَصْدُ حكايةِ هذه الحال الماضية، بِغَرَضِ اسْتِحْضَارِهَا في النّفُوسِ وتَصْوِيرِها في القُلُوبِ وكأنَّ أحداثَها ما تزالُ تجري؛ لإثارةِ التَّعجُّبِ بشأنِها أو شأنِ مَنْ يقومُ بها. ومنها أيضًا الدلالةُ على التَّجَدُّدِ والحُدُوثِ، وأنَّ الفعلَ الذي وَقَعَ فيما مَضَى مِنَ السَّلَفِ يُمْكِنُ أنْ يتكرَّرَ مِنْ خَلَفِهِم. ومِنَ العِلَلِ اللفظيةِ مُرَاعَاةُ الفَوَاصِلِ القرآنية ومُنَاسَبَةِ رُءُوسِ الآي.

مِنْ هذه الشَّوَاهِدِ قولُهُ تعالى عن بني إسرائيل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[3] حيث عَطَفَ الفعلَ (تَقْتُلُونَ) على

---

(1) سورة محمد من الآية ٣٦.

(2) سورة النازعات الآيتين ٢٨-٢٩.

(3) سورة البقرة من الآية ٨٧. ومثله ما ورد في سورة المائدة آية ٧٠ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

(كَذَّبْتُمْ)، وقد وجَّه الإمامُ الزمخشريُّ ذلك من خلال الإجابة عن سؤالٍ ربما يُثارُ عن سِرِّ المُغَايَرَةِ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، والتعبيرِ بالمضارعِ عوضًا عن الماضي فقال:" فإنْ قلتَ: هلَّا قيل: (وفريقًا قتلتم)؟ قلتُ: هو على وجهين: أنْ تُرَادَ الحالُ الماضيةُ؛ لأنَّ الأمرَ فظيعٌ، فأُرِيدَ استحضارُه في النفوسِ، وتصويرُه في القلوبِ. وأنْ يُرادَ: وفريقًا تقتلون بعدُ؛ لأنكم تحومون حولَ قتلِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم لولا أنِّي أعصِمُهُ منكم، ولذلك سَحَرْتُمُوه وسَمَّمْتُم له الشاةَ"(١).

وقال أبو حيان:" وأتَى بفعلِ القتلِ مضارعًا إمَّا لكونِهِ حَكَيتَ أنَّه الحالُ الماضيةُ–إنْ كانتْ أُرِيْدَتْ– فاستُحْضِرَتْ في النفوس، وصُوِّرَ حتى كأنه متلبَّسٌ به مَشْرُوعٌ فيه، ولِمَا فيه مِنْ مُنَاسبةِ رُءوسِ الآي التي هي فواصلٌ. وإمَّا لكونِهِ مستقبلًا؛ لأنَّهم يَرُومُونَ قتلَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ولذلك سَحَرُوه وسَمُّوه.... وكان في ذلك على هذا الوجْهِ تنبيهٌ على أنَّ عادتَهم قَتْلُ أنبيائِهم؛ لأنَّ هذا النبيَّ مكتوبٌ عندهم في التوراةِ والإنجيل–وقد أُمِرُوا بالإيمانِ به والنُّصْرَةِ له– يَرُومُونَ قتلَه، فكيفَ مَنْ لم يَكُنْ فيه تَقَدُّمُ عهدٍ من الله! فقتْلُهُ عندهم أولَى"(٢).

فإنَّ سِمَةَ التكذيبِ متأصِّلَةٌ في بني إسرائيلَ، مُمْتَدَّةٌ في جُذُورِهِم، لكنها بالتأكيد أقلُّ جُرْمًا مِنْ قتلِ الأنبياء، فأرادَ الله –عزَّ وجلَّ– استحضارَ هذه

(١) الكشاف ٢٩٣/١-٢٩٤.

(٢) البحر المحيط ٤٦٩/١ وينظر أيضًا الدر المصون ٥٠٠/١ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٩٣/١.

الصورة للتعجيبِ منها ومِنْ شَنَاعَةِ فاعِلِيْهَا مِنْ خِلَالِ التعبيرِ عن القتلِ بالفعلِ المُضَارِعِ، دُوْنَ التَّكْذِيبِ فقد عَبَّر عنه بالمَاضِي.

هذا المعنى أشار إليه السمينُ الحَلَبِي بقوله:" وقد يُقَالُ: فَلِمَ لا حُكِيَتْ حَالُ التكذيبِ أيضًا، فيُجَاءُ بالفعل مضارعًا لذلك؟ ويُجَابُ بأنَّ الاستفظاع في القتلِ شَنَاعَتُه أكثرُ مِنْ فَظَاعَةِ التكذيبِ"(١).

وقد عقَّبَ الطاهرُ بنُ عاشور على هذه العلل المعنوية واللفظية بقوله:" فاكتمَلَ بذلك بَلاغَةُ المعنى وحُسْنُ النَّظْمِ"(٢).

ومِنَ الشَّوَاهِدِ أيضًا قولُهُ تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيد﴾(٣)

حيث عَطَفَ المضارعَ (يَقْذِفُونَ) على الماضي (كَفَرُوا)، والقَذْفُ: هو الرَّمْيُ بالسَّهمِ والحَصَى(٤)، وهو هنا مستعارٌ للقول من غير تروٍ ولا دليلٍ، وإنَّما عبَّر الله–عزَّ وجلَّ–بالفعلِ المضارعِ لِحِكَايَةِ الحَالِ الماضيةِ تعجُّبًا منهم ومِنْ جُرْأَتِهِم على القول بِمَا لا عِلْمَ لهم به، ولا دليلَ عليه.

يقول الزمخشري:" (وَيَقْذِفُونَ) معطوفٌ على (كَفَرُوا) على حكاية الحالِ الماضية، يعني: وكانوا يتكلمونَ بالغيبِ، ويَأتُونَ به مِنْ مكانٍ بعيدٍ، وهو قولُهُم في رسولِ الله صلى الله عليه وسلم شاعرٌ، ساحرٌ، كذَّابٌ. وهذا تكلُّمٌ

(١) الدر المصون ٣٦٤/٤.
(٢) التحرير والتنوير ٥٩٨/١.
(٣) سورة سبأ آية ٥٣.
(٤) لسان العرب مادة (ق ذ ف) وينظر أيضًا المعجم الوسيط مادة (ق ذ ف)

بالغيبِ والأمرِ الخفيّ؛ لأنهم لم يُشاهدوا منه سِحرًا ، ولا شِعرًا، ولا كَذِبًا، وقد أَتَوا بهذا الغيبِ مِنْ جهةٍ بعيدةٍ مِنْ حَالِهِ؛ لأنَّ أبعدَ شيءٍ مما جاء به الشعرُ، والسّحرُ، وأبعدَ شيءٍ من عاداتِه التي عُرِفَتْ بينهم وجُرِّبتْ الكذبُ والزُّورُ "[1].

ومن الشواهد أيضًا قولُه تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾[2]

حيثُ عَطَفَ الفعلَ (تُثِيرُ) على (أَرْسَلَ) وأَتَى به مضارعًا بين أفعالٍ ماضيةٍ قبلَه وبعدَه.

قال الزمخشريُّ:" فإنْ قلتَ: لِمَ جاء (فَتُثِيرُ) على المضارعة دون ما قبلَهُ وما بعدَهُ؟ قلتُ: لِيَحْكِيَ الحالَ التي تقعُ فيها إثارةُ الرِّيْحِ السَّحَابَ، وتُسْتَحْضَرَ تلك الصورُ البديعةُ الدَّالةُ على القدرة الربانية"[3].

فالله عزَّ وجلَّ يُصَوِّرُ مرحلةَ تَكَوُّنِ السَّحَابِ ونشأتِهِ مِنْ خِلالِ إثارةِ الرِّيَاح للسّحَابِ يبدو أولًا قِطَعًا، ثُمّ تَتَضَامّ مُتَقلّبَةً بين أطوَارٍ، حتى تَصِيْرَ رُكَامًا. فالرِّيَاحُ السَّاخنةُ تُثِيرُ البحارَ بعمليةِ التبخيرِ، والرياحُ الباردةُ هي المُكَثِّفَةُ له حتى يصيرَ سَحَابًا، ثم يَسُوقُهُ اللهُ –عزَّ وجلَّ– إلى حيثُ يُرِيدُ له أنْ يَصِلَ (إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ) مُقَدَّرٍ في عِلْمِ الله أنْ تَدُبَّ فيه الحياةُ بهذا السَّحَابِ، والماءُ

---

(1) الكشاف ١٣٤/٥ وينظر أيضًا البحر المحيط ٢٨٠/٧ فتح القدير للشوكاني ٣٨٤/٤ التحرير والتنوير ٢٤٤/٢٢.

(2) سورة فاطر آية ٩.

(3) الكشاف ١٤٢/٥ وينظر أيضًا البحر المحيط ٢٨٨/٧ مغني اللبيب ٦٩١/٦-٦٩٢ الدر المصون ٢١٥/٩.

حياةُ كلِّ شيءٍ في هذه الأرضِ(فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا). يَستدلُّ اللهُ بهذه المَشَاهِدِ الواقعةِ في حَيَاةِ الناسِ في الدنيا على إمكانيةِ البعثِ والنشورِ في الآخرة (كَذَلِكَ النُّشُور)، ففيها "استدلالٌ بما هو واقعٌ إظهارًا لإمكانِ نظيرِه"(١).

والمُغَايرةُ بين الأفعالِ بعطفِ المضارعِ على الماضي طريقةٌ للبلغاءِ حكايةً للأفعالِ التي فيها خُصُوصِيَّةٌ بحالٍ تُسْتَغرَبُ، وتَهُمُّ السَّامِعَ، وكأنَّ أحداثَها الماضيةَ لا تزالُ جاريةً يَرَاها المخاطَبُ.

يقول الزمخشري:" وهكذا يفعلونَ بفعلٍ فيه نوعُ تميُّزٍ وخُصُوصيةٍ بحالٍ تُستغربُ، أو تَهُمُّ المخاطَبَ، أو غير ذلك. كما قال تأبَّطَ شرًّا:

بِأَنِّي قَدْ لَقِيْتُ الغُولَ تَهْوِي ∴ بِسَهْبٍ كالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ∴ صَرِيْعًا لِلْيَدَيْنِ ولِلْجِرَانِ"(٢).

فابتدأ بالفعلِ (لَقِيْتُ) للدلالةِ على تحقُّقِ اللقاءِ ووُقُوعِهِ، ثم ثَنَّى بالفعلِ المضارعِ (فأَضْرِبُهَا) "لأنه قَصَدَ أنْ يُصَوِّرَ لقومِهِ الحالةَ التي تَشَجَّعَ فيها – بِزَعْمِهِ– على ضَرْبِ الغُوْلِ، كأنَّه يُبَصِّرُهُم إيَّاهَا ويُطْلِعُهُم على كُنْهِهَا مُشَاهَدةً؛ للتعجُّبِ مِنْ جُرْأَتِهِ على كلِّ هَوْلٍ وثَبَاتِهِ عند كُلِّ شِدَّةٍ"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦٨/٢٢.

(٢) الكشاف ١٤٢/٥.

(٣) الكشاف ١٤٣/٥ والبيتان غير متتاليين، وهما من قصيدة من بحر الوافر، ديوان تأبط شرًّا صـ ٢٢٤– ٢٢٥ جمع وتحقيق/ علي ذو الفقار شاكر، ط/ دار الغرب الإسلامي. تهوي: تفترس وتنقضُّ. سهبٍ: الأرض المتسعة السهلةُ. صحصحان: صفة للأرض الجرداء التي لا صخر فيها ولا شجر. الدَّهَش: ذهاب العقل من الذَّهَلِ والفَزَع. ==

وبمثل هذا يُمْكِنُ أنْ يُوجَّه قولُه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (١)

حيث عطفَ الفعل المضارع (فَتُصْبِحُ) على الماضي (أَنزَلَ) حكايةً للحالِ، وتصويرًا لأثرِ نُزُولِ الماءِ على الأرْضِ، وحَيَاتِهَا بعد موتِهَا، وخُضْرَتِهَا بعد جَدْبِها.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (٢)

حيث أتى بالفعل المضارع (تَظُنُّونَ) بعد الأفعال الماضية (جَاؤُوكُم) و(زَاغَتْ) و(وَبَلَغَتِ) حكايةً لهذه الحال الماضية واستحضارًا لها في النفوس، وتصويرًا للحال التي بَلَغَهَا المؤمنون من الشِّدَةِ والكَرْبِ في غزوة الأحزاب.

==

الجران: مقدَّم العُنُق وباطنه. وينظر أيضًا البحر المحيط ٢٨٨/٧-٢٨٩ الدر المصون ٢١٥/٩-٢١٦ التحرير والتنوير ٢٦٨/٢٢.

(١) سورة الحج من الآية ٦٣.

(٢) سورة الأحزاب آية ١٠.

٧- استعمالُ (إذا) ظرفًا لِمَا مَضَى.

تُسْتَعملُ (إذا) لِمَعَانٍ، أشْهَرُها والغَالِبُ فيها أنْ تكونَ ظرفًا لِمَا يُسْتَقْبَلُ من الزَّمَانِ مُتَضَمّنَةً معنى الشَّرْطِ، ولهذا تَخْتَصُّ بالدّخُولِ على الجُمْلَةِ الفِعلِيَّةِ، وتَقَعُ الفَاءُ في جَوَابِهَا، مِنْ ذلك قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ﴾[١].

ويَكْثُرُ وقُوعُ الفِعْلِ بعدَهَا ماضِيَ اللَّفظِ مُسْتَقْبَلَ المعنى، حيثُ تَصْرِفُ مَعْنَاه إلى الاسْتِقْبَالِ، ويَقَعُ المضَارِعُ بَعْدَها بأقلَّ منه[٢].

وقد وَرَدَتْ شَوَاهِدُ مِنَ النَّثرِ والشّعرِ دَخَلَتْ فيها (إذا) على فِعْلٍ مَاضٍ لفظًا ومعنىً، فالحَدَثُ الذي يدلُّ عليه تَمَّ وانْقَضَى - خلافاً للشَّائعِ في مَعْنَاهَا واسْتِعمَالِهَا-.

مِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾[٣] و﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾[٤] و﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ

---

(١) سورة الأنفال من الآية ١٤٥.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٩٥/٤ شرح التسهيل لابن مالك٢١٠/٢ شرح الكافية للرضي ١٨٤/٣ البسيط ٨٧٦/٢ مغني اللبيب ٧١/٢ تمهيد القواعد ١٩٣٤/٤ التصريح ١٥٤/٣.

(٣) سورة آل عمران من الآية ١٥٦.

(٤) سورة التوبة من الآية ٩٢.

﴿قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾[1] و﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾[2] وغيرها من الآيات[3] ومنه قولُ الشاعر:

حَلَلْتُ بِهَا وِتْرِي وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي ∴ إِذَا مَا تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ غَيْهَبِ[4].

وقول الآخر:

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ونَعِيْمَهَا ∴ فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْشَقِ[5].

وقول الآخر:

وَنَدْمَانٍ يَزِيْدُ الكَأْسَ طِيْبَا ∴ سَقَيْتُ إِذَا تَغَوَّرَت النُّجُومُ[6].

---

(1) سورة الكهف تكررت في الآيتين ٩٣، ٩٦.

(2) سورة الجمعة من الآية ١١.

(3) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/١٧٤-١٧٥.

(4) البيت من الطويل وهو لقيس بن صبابة-في قصة رِدَّتِه-، وقد أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بقتله يوم الفتح وهو متعلقٌ بأستار الكعبة، وقيل: للشويعر بن حمران الجعفي، وتجده في شرح التسهيل لابن مالك ٢/٢١٢ التذييل والتكميل ٧/٣١٣ تمهيد القواعد ٤/١٩٣٦. الوتر: هو الظلم في الثأر، وحللتُ وتري: فعلتُ ما يدفعُ عني عارَ الظلم في الثأر، وذلك بإدراك مَنْ أطلبه. الذُّحل: الثأر. الغيهب: الضعيفُ عن إدراك ثأره. والشاهد فيه وقوعُ (إذا) ظرفًا لفعلٍ ماضٍ لفظًا ومعنى.

(5) البيت من الكامل، وهو للكميت بن زيد (شعر الكميت ١/٢١٨) وتجده في معاني القرآن للفراء ١/٢٤٤ مجالس ثعلب ٢/٤٦٢ شرح التسهيل لابن مالك ٢/٢١٢ التذييل والتكميل ٧/٣١٣ تمهيد القواعد ٤/١٩٣٧.

والشاهد فيه وقوعُ (إذا) ظرفًا لفعلٍ ماض المعنى.

(6) البيت من الوافر وهو للبرج بن مسفر الطائي-شاعر مخضرم- (ديوان الحماسة ٢/٨٦) وتجده في التذييل والتكميل ٧/٣١٢ مغني اللبيب ٢/٨٣ تمهيد القواعد ٤/١٩٤٩ ==

وقد ذَهَبَ ابنُ مالكٍ وجَمَاعةٌ مِنَ النَّحويينَ منهم الرَّضِيُّ وابنُ هشامٍ[1] إلى أنَّ هذه الشَّوَاهِدَ ونَحْوَهَا خَرَجَتْ فيها (إذا) عن الاستقبالِ، وجَاءتْ بمعنى (إذ)، ظَرْفًا لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ.

حيث يقول ابنُ مالكٍ عن (إذا):" وقد يُرَادُ بِهَا المُضِيُّ فتقعُ مَوْقِعَ (إذ)، كقوله تعالى:﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم * وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وكقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ ومن ذلك قولُ الشاعر:

حَلَلْتُ بِهَا وِتْرِي وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتِي ∴ إِذَا مَا تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ غَيْهَبِ

ومثله قول الآخر:

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ونَعِيْمَهَا ∴ فِيمَا مَضَى أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْشَقِ"[2].

وقال الرَّضِيُّ:" وقد تكونُ (إذا) للماضي كـ(إذْ)، كما في قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾و﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾و﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا ﴾ كما أنَّ (إذ) تكون للمستقبل كـ(إذا)"[3].

==

شرح شواهد المغني ٢٨٠/١ شرح أبيات المغني ٢٣٤/٢. الندمان: هو الصاحب في الشراب. تغورت: غابت. والشاهد فيه وقوعُ (إذا) ظرفًا لفعلٍ ماضٍ لفظًا ومعنى.

(1) المغني ٨٢/٢-٨٣.

(2) شرح التسهيل ٢١٢/٢ وينظر أيضًا شواهد التوضيح والتصحيح٦٣ ت د/ طه محسن.

(3) شرح الكافية ١٨٤/٣.

وجُمْهُورُ النَّحوِيينَ لا يَرَونَ ذلك، ولا يُثبتونَ لـ(إذا) هذا المعنى، بل يَرَوْنَ أنَّها باقيةٌ على المَشهُورِ فيها والغَالِبِ في استِعْمَالِها مِنْ أنَّها ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقبَلُ مِنَ الزَّمَانِ.

وحكى أبو حَيَّان أنَّه الصَّحِيحُ عند الأنْدَلُسِيينَ فقال:" والصَّحِيْحُ عِندَ أصْحَابِنَا أنَّ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا لا تَقَعُ مَوْقِعَ الأُخْرَى"(١).

ووجَّهُوا الشَّوَاهِدَ السَّابقةَ بأنَّها حِكَايةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ، بِغَرَضِ اسْتِحْضَارِ صُورَتِهَا وتَقْرِيبِهَا، أو تقديرِ الأشخاصِ المُخَاطَبِيْنَ مَوجُودِينَ في ذلك الزَّمَانِ المَاضِي (زَمَنِ حُصُولِ الأحْدَاثِ)

فقد قال ابنُ جني في قَولِ الشَّاعِرِ:

وَنَائِحَةٍ صَوْتُهَا رَائِعُ ∴ بَعَثْتُ إذَا ارْتَفَعَ المِرْزَمُ(٢).

"كذا رَوَاهُ (إذا)، وَلَوْ قَالَ: (إذْ) لِلْمَاضِي لَكَانَ أشْبَه. وَوَجْهُ اسْتِعْمَالِ (إذا) في المَاضِي أنَّه حَكَى مَا كَانَ عليه، أي: أنَّه كانَ يَبْعَثُهَا إذا ارْتَفَعَ"(٣).

وقال الزمخشريُّ في قولِهِ تعالى:﴿**إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى**﴾ **الآية** :

"فَإنْ قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: (إذَا ضَرَبُوا) مَعَ (قَالُوا)? قُلتُ: هو عَلَى حِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ، كقولِكَ: حِينَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرضِ"(٤).

---

(١) التذييل والتكميل ٣١٢/٧ وينظر أيضًا المساعد ٥٠٦/١.

(٢) البيت من المتقارب، وهو للبُرَيقِ بن عياض الهذلي، في التمام في تفسير أشعار هذيل لابن جني ٩٤. والمِرْزَم: نجمٌ يطلعُ آخرَ الليل.

(٣)التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري لابن جني ٩٤ ت د/ أحمد ناجي القيسي، ود/ خديجة الحديثي، ود/ أحمد مطلوب ط/ مطبعة العاني، بغداد.

(٤) الكشاف ٦٤٥/١.

وقال أبو البَقَاءِ العُكْبَرِيُّ كَلامًا قريبًا مِنْ كَلَامِ الزَّمَخْشَرِيّ، ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهًا آخَرَ، وهو أنَّه "يَجُوزُ أنْ يَكُونَ (كَفَرُوا) و(قَالُوا) مَاضِيَيْنِ، ويُرَادَ بِهِمَا المُسْتَقبلُ المَحْكِيُّ به الحَالُ، فَعَلَى هذا يَكُونُ التقديرُ: يَكْفُرُونَ ويَقُولُونَ لإخوَانِهِم"(١).

فَهِيَ فِي كِلَا الوَجْهَيْنِ حِكَايةُ حَالٍ، لكِنَّها في الأَوَّلِ حِكَايةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ، وفي الثاني حِكَايةُ حَالٍ مُسْتَقبَلَةٍ(٢).

وَعَلَى (حِكَايَةِ الحَالِ المَاضِيَةِ) حَمَلَ أيضًا ناظرُ الجيشِ مَا اسْتَدَلَّ بِه ابنُ مَالكٍ مِنْ قولِهِ تعالى: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ حيثُ ذَكَرَ أنَّ" الآيَةَ الأُوْلَى مِنْهُ يُمْكِنُ أنْ يُقَالَ فيها: إنَّ المَقصُودَ حِكَايةُ حَالِهِم حينَ ابْتَدَءُوا في الفِعْلِ، وإذا كانَ كَذلِكَ كانَ المَحَلُّ حِينَئذٍ مَوقِعَ (إذا)، دُونَ مَوقِعِ (إذْ). وأمَّا الآيةُ الثَّانِيَةُ فالمُرَادُ مِنْهَا حِكَايَةُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، ومَا هو شَأنُهم ودَيْدَنُهُم، فالمَعْنَى: حَالُ هؤلاءِ أنَّهم إذا رَأَوْا تِجَارَةً أوْ لَهْوًا كَانَ مِنْهُم مَا ذُكِرَ، ولو أَتَى

(١) التبيان في إعراب القرآن ٣٠٤/١ ت/ علي محمد البجاوي.

(٢) أجاز ابنُ عطية أنْ يُرَادَ بـ(قالوا) الاستقبال، وأنْ تكون (إذا) على بابها، لا على سبيل الحكاية، بل لوقوعه صلةً لموصول، والماضي إذا وقع صلةً لموصولٍ صلح للاستقبال، فقال:" ودخلت (إذا) في هذه الآية– وهي حرف استقبال– من حيث (الذين) اسمٌ فيه إبهامٌ يعمُّ مَنْ قال في الماضي، ومَنْ يقول في المستقبل، ومِن حيث هذه النازلة تُتَصوَّر في مستقبل الزمان، ويطَّردُ النهي للمؤمنين فيها، فوُضِعتْ (إذا) لتدلَّ على اطِّرَاد الأمر في مستقبل الزمان، وهذه فائدة وضع المستقبل موضع الماضي" المحرر الوجيز ٥٣٠/١–٥٣١ ت د/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/ دار الكتب العلمية. وينظر أيضًا البحر المحيط ٩٩/٣.

بـ(إذْ) في هذا المَحَلِّ لَصَارَ المَعْنَى الإخْبَارُ عَنْ واقِعَةٍ وَقَعَتْ مِنْهُم، ولا يَلْزَمُ مِنَ الإخْبَارِ بذلك أنْ يكونَ ذلك مِنْ شَأنِهِم"[١]

ثم قال:" وأمَّا البيتانِ اللَّذَانِ أنْشَدَهُمَا، وهما:

حَلَلْتُ بِهَا وِتْرِي وأدْرَكْتُ ثُؤرَتِي

وقولُ الآخَرِ:

مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ونَعِيْمَهَا

فيَظْهَرُ أنْ لا دَلِيلَ فيهما على المَطْلُوبِ؛ لأنَّ جوابَ الشَّرْطِ فيهما مَحْذُوفٌ، والمَذْكورُ المُتَقدّمُ دَلِيْلٌ عَلَيْهِ، ولا شَكَّ أنَّ الجَوَابَ مُسْتَقبَلُ المَعْنَى كالشَّرْطِ، فَوَجَبَ أنْ يكونَ دليلُ الجَوَابِ مُسْتَقبلًا.

فكأنَّ قائلَ الأولِ قال:

إذَا مَا تَنَاسَى ذَحْلَهُ كُلُّ غَيْهَبٍ حَلَلْتُ بِهَا وِتْرِي وأدْرَكْتُ ثُؤرَتِي

وكأنَّ قائلَ الثاني قال: إذَا لَمْ يَعْشَقِ أحَدٌ فمَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيشَةٍ ولا نَعِيْمَهَا

وكذا قولُ الآخر:

وَنَدْمَانٍ يَزِيْدُ الكَأْسَ طِيْبًا .·. سَقَيْتُ إذَا تَغَوَّرَت النُّجُومُ

المعنى: إذَا تَغَوَّرَت النُّجُومُ سَقَيْتُ، أي: أسْقِي، فـ(سَقَيْتُ) مستقبلُ المعنى. إلَّا أنْ يدَّعِي المُصَنِّفُ [ابن مالك] أنَّ (إذا) فَارَقَتْهَا مَعْنَى الشَّرْطِيَّةِ في هذه الأبْيَاتِ وتَجَرَّدَتْ للظَّرْفِيَّةِ فَيَتِمُّ مُرَادُه، ويَتَوَجَّهُ اسْتِدْلَالُه"[٢].

وقد أوْرَدَ العلَّامَةُ الشُّمُنِّيّ في حاشيته على المُغنِي تَوجِيهَ ناظِرِ الجَيشِ لِمَا استدلَّ به ابنُ مالكٍ ثُمَّ قالَ:" وهذا لا غُبَارَ عَليهِ"[٣].

---

(١) تمهيد القواعد ١٩٤٨/٤.

(٢) تمهيد القواعد ١٩٤٨/٤-١٩٤٩.

(٣) المنصف من الكلام على مغني اللبيب للشمني ٢٠١/١ بهامشها شرح الدماميني على المغني.

٨- إضافةُ (إذْ) إلى جملةٍ فعليةٍ فعلُها مضارعٌ.

من الظُّروف التي تلزمُ الإضافةَ إلى الجملِ (إذ)، وهي-في الغالب[١]- ظرفٌ لِمَا مَضَى من الزمان. فتُضَافُ إلى الجملةِ الاسمية، نحو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[٢] والجملةِ الفعليةِ التي فعلُها ماضٍ لفظًا ومعنىً، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾[٣]، كما تُضَافُ إلى الجملة الفعلية التي فعلُها مضارعٌ لفظًا، ماضٍ في المعنى؛ لأنَّ (إذ) من الأدوات التي تصْرِفُ معنى المضارعِ إلى المضيّ، وذلك حتى يَحْدُثَ تماثلٌ في الزمنِ بين (إذ)-التي هي ظرفٌ لِمَا مَضَى من الزمان-،وما تُضَافُ إليه من الأفعال.

والغرضُ من إضافةِ (إذ) إلى الفعلِ المضارعِ أثناء الحديث عن وقائع خَلَتْ، هو حكايةُ هذه الحال الماضية[٤] وتصويرُ أحداثِها كأنها حاضرةٌ تقعُ اللَّحظةَ، ورَدُّ المشهدِ الغائبِ حاضرًا يُسمَعُ ويُرَى.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾[٥]

---

(١) مغني اللبيب ٥/٢ وتجيءُ لمعانٍ أُخَر، ينظر فيها شرح التسهيل لابن مالك ٢٠٦/٢ شرح الكافية للرضي ٢٠١/٣ الجنى الداني ١٨٥ تمهيد القواعد ١٩٢٧/٤.

(٢) سورة الأنفال من الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة من الآية ٣٠.

(٤) البديع لابن الأثير ١٥٧/١ التبيان للعكبري ١٣٦/١ تعليق الفرائد للدماميني ١١٠/١ حاشية يس ٣٩/٢.

(٥) سورة البقرة من الآية ١٢٧.

فقد قال الإمامُ الزمخشري:" (يَرْفَعُ) حكايةُ حالٍ ماضيةٍ"(١).

وقال أبو السعود:" وصِيغةُ الاستقبالِ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ لاستحضارِ صورتِها العجيبةِ المنبئةِ عن المعجزةِ الباهرةِ"(٢).

فالله –عزَّ وجلَّ– يحكِي بالفعل المضارع (يرفع) قِصَّةَ رفعِ قواعدِ البيت، وما كان من خليلِ اللهِ إبراهيم وولدِه سيدِنا إسماعيل من عَمَلِهما ودعائهما أثناء هذا العمل المبارك، ويُصَوِّرُ ذلك كأننا نراهما رأي العين حاضِرَيْنِ، ونكادُ نسمعُ صوتَهما يبتهلانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم﴾

ومنه أيضًا قولُه تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ (٣)

يقول أبو السعود:" (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) ظرفٌ للمضاف المقدَّر، وصيغةُ المضارعِ حكايةٌ للحال الماضية؛ لاستحضار صُورَتِها، أي: اذكر خبرَهما وقت حُكْمِهما"(٤).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٥)

فإنَّ الله عزَّ وجلَّ– بعد فتح مكة– يُذَكِّر نبيَّه صلى الله عليه وسلم بمَا كان من قريشٍ في دار الندوة حين كان بمكة، ويستحضر هذه الأحداث؛ ليشكرَ

---

(١) الكشاف ٣٢١/١.

(٢) تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ٢٥٧/١.ت/ عبدالقادر عطا.

(٣) سورة الأنبياء من الآية ٧٨.

(٤) تفسير أبي السعود ٧١٧/٣ حاشية الجمل على تفسير الجلالين ١٤٦/٣.

(٥) سورة الأنفال من الآية ٣٠.

نعمةَ اللهِ عليه في نجاتِه مِنْ مكرِهِم وظُهُورِه عليهم، وما أتاح اللهُ له حُسْنِ العاقِبَةِ[1].

وقد أحصى فضيلةُ المرحومِ الشيخِ محمد عبدالخالق عضيمة عشرَ آياتٍ جاءت فيها (إذ) مضافَةً إلى جملةٍ فعليةٍ فعلُها مضارعٌ بمعنى الماضي[2]؛ لغرضِ حكايةِ الحالِ الماضية.

منها بالإضافة إلى ما سَبَقَ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾[4] وقوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ...﴾[6] وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ

(1) الكشاف ٢/٥٧٥.
(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١/١٤٢-١٤٣.
(3) سورة آل عمران من الآية ٤٤.
(4) سورة آل عمران من الآية ١٢٤.
(5) سورة آل عمران من الآية ١٥٣.
(6) سورة الأعراف من الآية ١٦٣.
(7) سورة التوبة من الآية ٤٠

غُرُورًا ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾[2].

(1) سورة الأحزاب من الآية ١٢.

(2) سورة الفتح من الآية ١٨.

٩- التأويلُ بالحَالِ أو المُسْتَقبلِ في نَصْبِ المُضَارِعِ ورَفْعِهِ بعد (حتى) الجارَّة.

تُسْتَعْمَلُ (حتى) في كَلَامِ العربِ على ثلاثة أنواع: ابتدائية، وعاطفة، وجارَّة[١].

فالابتدائية: حرفٌ غيرُ عَامِلٍ يُفِيدُ الرَّبْطَ المعنويَّ بينَ ما قبلَها وما بعدَها، وتُستَأنف بعدَها الجُمَلُ، فيأتي بعدها المبتدأُ والخبرُ، نحو قولِ الشَّاعِر:

فَمَا زَالَتْ القَتْلَى تَمُجُّ دِمَاءَهَا ∴ بِدِجْلَةَ حتَّى مَاءُ دِجْلَةَ أَشْكَلُ[٢].

والجملةُ الفعليةُ التي فِعْلُها مضارعٌ مرفوعٌ، نحو قولهم: شَرِبَتْ الإبلُ حتى يَجِيءُ البعيرُ يَجرُّ بطنَه، وقولِ سيدنا حسان بن ثابت:

يُغْشَوْنَ حتَّى مَا تَهِرُّ كِلابُهُم ∴ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ[٣].

---

(١) الإيضاح ٢٧٠ الجنى الداني ٥٤٢ توضيح المقاصد ١٢٤٨/٤ مغني اللبيب ٢٦٠/٢ تمهيد القواعد ٤٢٨٥/٨.

(٢)البيت من الطويل وهو لجرير ديوانه١٤٣، وتجده في: شرح المفصل لابن يعيش ١٨/٨ ، الأزهية ٢١٦ الجنى الداني ٥٥٢ المغني ٢٨٧/٢ تمهيد القواعد ٤٢٨٥/٨ شرح الأشموني ٤٤٠/٣ خزانة الأدب ٤٧٧،٤٧٩/٩. تمجُّ: تقذف. دجلة: نهر بالعراق. أشكل: الأشكل هو الذي تخالطه حُمْرَة، وعينٌ شَكْلَاءُ: إذا خالط بياضَها حُمْرَةٌ. والشاهد فيه قوله: (حتى ماءُ دجلة أشكلُ) فـ(حتى) ابتدائية، جاء بعدها جملةٌ اسمية.

(٣) البيت من الكامل وهو لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه ديوانه ١٨٤ يمدح آل جفنة الغسَّانيين، وتجده في الكتاب١٩/٣ تمهيد القواعد ٤٢٧٩/٨ المغني ٢٨٩/٢، ٦٩٤/٦ المقاصد الشافية ٤٠/٦ شرح الأشموني ٤٤٠/٣ . يُغشَونَ: يُقصَدُونَ ويُؤتَونَ.
==

والفعليةُ التي فعلُها ماضٍ نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا ﴾[1]

والعاطفةُ: تَخْتَصُّ بعطف مفردٍ يكون جزءًا مِمَّا قبلَها أو كَجُزْئِهِ، غايةً له في زيادةٍ أو نقصانٍ. فمثالُ ما هو جزءٌ قولك: أكلْتُ السَّمَكةَ حتى رأسَها، ومثالُ ما هو كجُزءٍ قولُك: أعجبتني الجاريةُ حتى حديثُها.

وأما الجارَّة: فإنها تجرُّ اسمًا صريحًا نحو قوله تعالى:﴿ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾[2] وقوله تعالى:﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[3]، أو مصدرًا مؤولًا من (أنْ) والفعلِ المضارعِ نحو قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾(٤).

و(حتى) الداخلةُ علَى المُضَارِعِ المَنْصُوبِ تَرِدُ على معنيينِ[5]:

==

حتى ما تهر كلابهم: أنَّ الأضيافَ يُكثِرُون التردُّدَ عليهم، فكلابُهم لا تنبحُ أحدًا؛ لأنها اعتادت رؤية الأضيافِ.السواد المراد به هنا:الشخص المقبل. والشاعر في هذا البيت يمدحهم بالكرم فجعل كلابهم لا تنبح مَنْ يغشاهم لاعتيادهم رؤية الأضياف. والشاهد فيه قوله: (حتى ما تهرُّ كلابهم) فـ(حتى) ابتدائية، جاء بعدها جملةٌ فعلية.

(١) سورة الأعراف آية٩٥.

(٢) سورة المؤمنون آية ٢٥.

(٣) سورة القدر آية ٥.

(٤) سورة الحجرات آية ٩.

(٥) أمالي ابن الشجري١٤٨/٢ اللباب للعكبري ٤٤/٢ شرح ابن يعيش ١٦/٨ شرح الكافية للرضي ٥٧/٤ الجنى الداني ٥٥٤ المغني ٢٦٩/٢

أحدهما: أنْ تُفِيدَ الغايةَ، وذلك إذا كانَ ما بعدَها غايةً ونِهَايةً لِمَا قبلَها، وعلامتُها: أنْ يَصْلُحَ في موضِعِهَا (إلى)، نحو قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾[1] والمعنى: لنْ نزالَ مُقيمينَ على العِجْلِ وعبادتِه إلى أنْ يَرْجِعَ إلينا موسى.

والآخر: أنْ تُفِيدَ التعليلَ، وذلك بأنْ يَكُونَ ما قبلها عِلَّةً وسببًا في حُصُولِ ما بعدها، وعلامتُها: أنْ يَصْلُحَ في مَوْضِعِهَا (كي) التعليليةُ، نحو: جُدْ حتى تَسُرَّ ذا حَزَن.

وقد ذكر النحاةُ أنه يُشترَطُ لِنَصْبِ الفعلِ المضَارِعِ الوَاقِعِ بعد (حتى) الجارة أنْ يكونَ مستقبلًا حقيقةً أو مؤولًا بالمستقبل. وأنَّه يُرفَعُ إذا كان حالًا أو مُؤولًا بالحالِ.

ذَكَرَ ابنُ مالك ذلك في ألفيته فقال:

وتِلْوَ (حتى) حَالاً أو مؤوَّلا ∴ به ارْفَعَنَّ وانصِبْ المُسْتقبلا[2].

وقال الإمامُ الزَّمخشريُّ عن المضارع:" فلَهُ بعد (حتى) حالتان، هو في إحْدَيْهِمَا مُستقبَلٌ أو في حُكْمِ المُستقبَلِ، فيُنصَبُ، وفي الأُخرَى حَالٌ أو في حُكْمِ الحَالِ، فيُرْفَعُ، وذلك قولك: سِرْتُ حتى أدخلَهَا، وسِرْتُ حتى أدخلُها"[3].

---

(1) سورة طه آية ٩١.

(2) الألفية، باب إعراب الفعل، وينظر أيضاً شرح التسهيل لابن مالك ٥٣/٤.

(3) نص المفصل من شرح المفصل لابن يعيش ٢٠/٧.

والسَّبَبُ في أنه يُشتَرَطُ لِنَصْبِ المضارعِ أنْ يكونَ مستقبلًا حقيقةً أو مؤولًا به: أنَّ المضارعَ بعد (حتى) يُنْصَبُ بإضمارِ (أنْ)[1] و(أنْ) تُخلِّصُ الفعلَ للاستقبالِ، فلذلك إذا كان حالًا أو مؤولًا به لم يَنْتَصِبْ؛ لأنَّ (أنْ) لا تَصْلُحُ فيه[2].

والمُرَادُ بالمستقبلِ الحقيقي: هو ما كان مستقبلًا بالنسبةِ إلى زَمَنِ التَّكلُّمِ، وذلك بأنْ يَقْصِدَ المتكلّمُ أنَّ مضمونَ ما بعد (حتى) سيحصُلُ بعدَ زَمَنِ الإخبارِ، نحو قولك: أَسْلِمْ حتى تدخُلَ الجنةَ، ولأسيرنَّ حتى أدخلَ المدينةَ، فإنَّ كلًّا مِنْ دُخُولِ الجنةِ ودُخُولِ المدينةِ لم يَتَحَققْ بعدُ، وإنَّمَا هو مُنْتَظَرٌ مُرْتَقَبٌ.

---

(1) هذا هو رأيُ سيبويه والبصريين وجمهور النحويين، خلافاً للكوفيين. يقول سيبويه:" اعلم أنَّ(حتى) تَنْصِبُ على وجهين: فأحدهما: أنْ تجعلَ الدخول غايةً لمسيرك، وذلك قولك: سرتُ حتى أدخلَها، كأنك قلت: سرتُ إلى أنْ أدخلَها، فالناصبُ للفعل ههنا هو الجارُّ للاسم إذا كان غايةً " الكتاب ١٦/٣-١٧. في حين يذهب الكوفيون إلى أنَّ (حتى) هي الناصبة بنفسها، يقول الفراء في توجيه نصب المضارع في قوله تعالى:{ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } البقرة آية ٢١٤ :"ولها وجهان في العربية: نصبٌ ورفعٌ، فأما النصبُ فلأنَّ الفعلَ الذي قبلها مما يتطاول كالترداد، فإنْ كان الفعلُ على ذلك المعنى نُصِبَ بعده بـ(حتى)". معاني القرآن ١٣٢/١. وينظر أيضا المقتضب ٣٨/٢ والأصول ١٥١/٢ الإنصاف ٤٧٧/٢.

(2) اللباب للعكبري ٤٥/٢ شرح التسهيل لابن مالك ٥٤/٤ المقاصد الشافية ٤٠/٦ التصريح ٣١٩/٤.

والمُرَادُ بالمُؤَوَّلِ بالمستقبل: أنْ يكونَ الفِعْلُ بعدَ (حتى) قد وَقَعَ وانقضى، ويقدِّرُ المتكلمُ اتِّصَافَه بالعَزْمِ عليه حالَ الإخبارِ به **على سبيل الحكاية للحال الماضية،** فيُنْصَبُ المُضَارعُ؛ لأنه مستقبلٌ بالنسبةِ إلى تلك الحالِ، حيث يكونُ الدُّخُولُ في نحوِ قولِك: سِرْتُ حتى أدخلَ المدينةَ، مستقبلًا بالنظرِ إلى السَّيرِ، لا بالنظرِ إلى حَالِ المتكلمِ في الواقعِ. ونَصْبُ المضارعِ في هذه الحالة جائزٌ لا واجب(١).

والمُرَادُ بالحالِ الحقيقية: أنْ يكونَ ما قبل (حتى) سببًا في حُصُولِ ما بعدَها، والفعلُ المُسَبَّبُ حاصِلٌ الآنَ لم يَمْضِ بعْدُ ولم ينقطعْ، نحوُ قولِك: سِرْتُ حتى أدخُلُها، إذا قلتَ ذلك وأنتَ في حالِ الدُّخُولِ، ومنه قولُهم: مَرِضَ حتى لا يَرْجُونَه، أي: هو الآن لا يُرْجَى، وتلك هي الحالُ التي هم عليها الآن.

يقول سيبويه: "واعلم أنَّ (حتى) يُرفَعُ الفعلُ بعدها على وجهين: تقولُ: سِرْتُ حتى أدخلُها، تعني أنَّه كانَ دُخُولٌ مُتَّصِلٌ بالسَّيْرِ كاتِّصَالِه به بالفاءِ إذا قلتَ: سِرْتُ فأدخُلُها، فـ(أدخلها) ههنا على قولك: هو يَدْخُلُ، وهو يَضْرِبُ، إذا كنتَ تُخْبِرُ أنَّه في عَمَلِهِ، وأنَّ عَمَلَه لم يَنقطِعْ. فإذا قلتَ حتى أدخلُها فكأنَّه يقولُ: سِرْتُ فإذا أنا في حَالِ دُخُولٍ"(٢).

---

(١) شرح ابن يعيش ٣٠/٧ شرح الكافية للرضي ٥٨/٤ توضيح المقاصد ١٢٥١/٤ تمهيد القواعد لناظر الجيش ٤٢٨٢/٨ التصريح ٣١٨/٤ شرح الأشموني ٤٣٧/٣.

(٢) الكتاب ١٧/٣.

يَستوي في حُكْمِ الرَّفعِ هذا أنْ يكونَ ما بعد (حتى) عقيبًا لِمَا قبلَها ومُتَّصِلًا به كمَا في كلامِ سيبويه السابق، وألَّا يكون متصلًا به ولكنْ يكونُ مُوَطَّأً بالفعلِ الأولِ متى اختارَه صاحبُه أوقَعَهُ وقد وُطِّئَ له ومُكِّنَ منه.

يقول سيبويه: " وأمَّا الوجهُ الآخر: فإنَّه يكونُ السَّيْرُ قد كانَ وما أشبهه، ويكونُ الدُّخولُ وما أشبهه الآنَ، فمِنْ ذلك: لقد سِرْتُ حتى أدخُلُها ما أُمْنَعُ، أي: حتى أنِّي الآن أدخُلُها كيفما شِئتُ"(١).

والمراد بالمؤول بالحال: أنْ يكونَ الفعلُ بعد (حتى) قد وَقَعَ، فيقدِّر المتكلمُ اتصافَه بالدُّخُولِ فيه **على حكايةِ تلك الحال الماضية،** فيُرفَع؛ لأنه حالٌ بالنسبة إلى تلك الحال، نحو قولك: سرتُ حتى أدخُلُها، إذا كان السّيرُ والدّخولُ قد مَضَيَا جميعًا، فيَحْكِي المتكلمُ هذه الحالةَ ويُقَدِّرُ اتصافَه الآن بالدّخُولِ؛ لأنَّ ما مَضَي لا يكون حالًا إلا على الحكاية(٢).

وقد وَرَدَ الفعلُ المضارعُ (يَقُول) بالوجهين- النصبِ والرفعِ- في قولِه تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ (٣).

---

(١) الكتاب ١٨/٣.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك ٥٤/٤ توضيح المقاصد ١٢٥١/٤ المغني ٢٧٧/٢ تمهيد القواعد ٤٢٨٢/٨ المقاصد الشافية للشاطبي ٤٢/٦ التصريح ٣١٩/٤.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٤. وينظر في أوجه القراءة: معاني القرآن للفراء ١٣٢/١ السبعة لابن مجاهد١٨١ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها لمكي بن أبي طالب ٢٨٩/١ إتحاف فضلاء البشر ٤٣٦/١ .

فقرأ السبعةُ إلاَّ نافعًا بالنصبِ، **ووجهُهُ:** أنْ يكونَ مؤوَّلًا بالمستقبلِ، حيثُ يكونُ ما بعدَ (حتى) مستقبلًا بالنَّظرِ إلى ما قبلَهَا، فإنَّ قولَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه مُستقبَلٌ بالنَّظَرِ إلى زِلْزَالِهم، وإنْ كان ماضيًا بالنظرِ إلى زَمَنِ إخبارِ الله به وقَصِّ ذلك علينا[١]؛ حكايةً للحالِ الماضيةِ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وصحابته.

يقول أبو البقاء:" والفعلُ هنا مستقبلٌ، حُكِيَتْ به حالُهُم، والمعنى على المُضِيّ، والتقدير: إلى أنْ قالَ الرسولُ"[٢].

وقال السمينُ الحلبي:" و(حتى) إنَّمَا يُنْصَبُ بعدَها المُضَارِعُ المُسْتَقبَلُ، وهذا قد وَقَعَ ومَضَى. فالجَوَابُ أنَّه على حِكَايَةِ الحَالِ، حَكَى تلك الحَالَ"[٣].

وقَرَأَ بالرفعِ نافعٌ ومجاهدٌ، وقال الفراءُ :" وقد كانَ الكسائيُّ قَرَأَ بالرفعِ دهرًا ثم رَجَعَ إلى النصبِ"[٤].

ووجهه: أنْ يكونَ مؤولًا بالحالِ، فإنَّ قولَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ماضٍ في المعنى، حيثُ وَقَعَ وانقضى، لكنَّ اللهَ –عزَّ وجلَّ– قَصَّ ذلك علينا على سبيلِ حكاية تلك الحال، فجاء بلفظِ المضارع[٥].

---

(١) شرح ابن يعيش٣١/٧ المغني ٢٧٦/٢ شرح الأشموني ٤٣٧/٣ .

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١٣١/١.

(٣) الدر المصون ٣٨٢/٢.

(٤) معاني القرآن للفراء ١٣٣/١ وينظر أيضاً السبعة لابن مجاهد ١٨١– ١٨٢.

(٥) البيان لابن الأنباري ١٥٠/١ أمالي ابن الشجري ١٤٩/٢ الكشف ٢٨٩/١ شرح ابن يعيش ٣٢/٧.

يقولُ الزمخشري:" وبالرَّفعِ على أنَّه في مَعْنَى الحَالِ، كقولك: شَرِبَتْ الإبلُ حتى يَجِيءُ البَعِيرُ يَجُرُّ بَطْنَه، إلَّا أنَّهَا حَالٌ مَاضِيَةٌ مَحْكِيَّةٌ"(١).

وقال ابنُ هشام:" ولَوْلَا حِكَايَةُ الحَالِ في قولِ حَسَّانَ:

يُغْشَوْنَ حتَّى مَا تَهِرُّ كِلابُهُم .:. لا يَسْأَلُونَ عن السَّوَادِ المُقْبِلِ

لم يَصِح الرَّفْعُ؛ لأنَّه لا يُرْفَعُ إلَّا وهو للحَالِ. ومنه قولُهُ تعالى:﴿**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ**﴾ بالرَّفْعِ"(٢)

وفي حِكَايةِ الحَالِ يُفْرَضُ ما وَقَعَ في الزَّمَنِ الماضي واقعًا في هذا الزَّمَانِ، فيُعَبَّرُ عنه بلفظِ المُضَارعِ، والهَدَفُ منه: تَصْوِيرُ تلك الحالةِ العجيبةِ الشَّأنِ، واسْتِحْضَارِ صُورَتِهَا في مشاهدة السامعِ لإثارة تعجُّبِهِ، فكأنَّ حالتهم الآن: أنَّ رسُولَ الله ﷺ والذين معه يقولون(٣).

ثم إذا عُبِّرَ عنه بلفظِ المضارع فحكايتُك له " إمَّا أنْ تكونَ بِحَسَبِ كونِه مستقبلًا، فتنصبُه على حكاية هذه الحالِ، وإمَّا أنْ تكونَ بِحَسَبِ كونه حالًا فترفعُه على حكاية هذه الحالِ، فيصدُقُ أنْ تقولَ في قراءةِ الجَمَاعَةِ (حكايةُ حالٍ)، وفي قراءة نافع أيضًا (حكاية حال)" (٤).

ويَبْقَى مَعْرِفةُ قَصْدِ المُتَكلّمِ هو المُعَوَّلُ عليه في نَصْبِ ما بعدَ (حتى) أو رفعِهِ.

---

(١) الكشاف ٤٢٢/١. وينظر أيضًا البحر المحيط ١٤٩/٢ الدر المصون ٣٨٢/٢.

(٢) مغني اللبيب ٦٩٤/٦. والبيت سبق تخريجه أول المسألة.

(٣) شرح الدماميني على المغني ٤٦٥/١-٤٦٦ التصريح ٣١٩/٤ حاشية الصبان ٤٣٧/٣.

(٤) الدر المصون للسمين الحلبي ٣٨٢/٢.

١٠. زَمَنُ المُضَارِعِ قَبَلَ (إلاَّ) وَقَد جَاءَ بَعْدَهَا مَاضٍ مُجَرَّدٍ مِنْ (قَد).

المَسْتَثنَى: هُوَ المُخْرَجُ تَحْقِيقًا أو تَقْدِيرًا منْ مَتْرُوكٍ بـ(إلاَّ) أو مَا بِمَعْنَاهَا بِشَرْطِ الفَائِدَةِ.(١)

وَنَظَرًا لأنَّ (إلاَّ) تختصُّ بالأسماءِ "لا يكون المستثْنَى إلاَّ اسمًا أو مُؤَوَّلًا باسْم".(٢)

فَمِنَ الأوَّلِ قولُه تعالى: ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾(٣) وقولك: حضَرَ الضُّيوفُ إلاَّ خالدًا.

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون ﴾(٤).

ويجُوزُ في الاستثناءِ المُفَرَّغِ أنْ يَلِيَها الفعلُ المضارِعُ بلا شرطٍ؛ فإنَّ المُضَارِعَ لمُشَابهتِهِ الاسمَ لا يُشترطُ وجودُ فعلٍ قبلَ (إلَّا) بل يُكتَفَى بوجود النفي قبلها، سواءٌ وَلِيَ النفيَ اسمٌ نحو: ما زيدٌ إلاَّ يصُومُ ويُصلِّي، أو فعلٌ نحو: ما خَرَجَ زيدٌ إلاَّ يجُرُّ ثوبَه.(٥)

---

(١) تسهيل الفوائد ١٠١ شرح التسهيل لابن مالك ٢٦٤/٢.

(٢) شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٤/٢.

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٤٩.

(٤) سورة التوبة من الآية ٣٢.

(٥) البديع لابن الأثير ٢٣١/١ شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٣/٢ التذييل والتكميل ٣٠٢/٨ تمهيد القواعد ٢١٩٩/٥ المساعد ٥٨١/١.

واشْتَرَطُوا لوقوعِ الماضِي بعد (إلَّا) في الاستثناءِ المُفَرَّغِ أحَدَ قيدَيْنِ:

الأول: أنْ يقتَرِنَ الماضي بـ(قد)، وذلك إذا تَقَدَّمها اسمٌ، نحو: ما الناسُ إلَّا قد عَبَرُوا، وما زيدٌ إلَّا قد قامَ؛ "وذلك لتقرِيبها له من الحالِ المُشْبِهِ للاسمِ".[1]

ولِـ "أنَّ (قد) لمَّا زادتْ ضَارَعَ الفعلُ بالزِّيَادةِ التي قبلَه الأفعالَ المضارِعةَ والأسماءَ؛ لأنَّ الأفعالَ المضارعَةَ يدخلُها (السينُ ،وسوف)، والأسماءَ يدخُلُهَا الألفُ واللامُ، فتقولُ: ما زيدٌ إلَّا قد قامَ، ألا ترى أنَّ (قد) إذا لَحِقَت الفعلَ الماضي صَلَحَ أنْ يكونَ حالاً، نحو: جاءَ زيدٌ قد رَكِبَ دَابَّةَ، ولولا (قد) كان قبيحاً".[2]

والآخر: إذا لم يَقتَرِنَ الماضي بـ(قد) اشتُرِطَ أنْ يَتقدَّمه فِعْلٌ؛ ليحصُلَ التوافقُ بين ما قبلَ (إلَّا) وما بعدها، حيثُ أصبحَ معنى الفعلِ المنفيِ قبل (إلَّا) مع ما بعدها يُفِيدَان معنى الشّرطِ والجَزَاءِ، في لُزُوم الثاني للأولِ.

يقولُ ابنُ مالك:" وإنَّمَا أَسَاغَ تَقَدُّمُ الفعلِ وقُوعَ الماضي بعد (إلَّا)؛ لأنَّ الفعلَ مقرُونًا بالنفي يجعلُ الكلام بمعنى:كُلَّما كانَ كذاوكَذَا كان كذاوكذا، فكانَ فيه فِعْلانِ كَمَا كانا مع (كُلَّما)"[3]

هذا الفعلُ يكونُ ماضيًا، نحو: ما أنعمْتُ عليه إلَّا شَكَرَ، وما أتيتُه إلَّا أكْرَمَنِي.

---

(1) شرح الكافية للرضي ١٣٨/٢.

(2) الأصول ٢٩٩/١.

(3) شرح التسهيل لابن مالك ٣٠٤/٢ شرح الكافية للرضي ١٣٨/٢-١٣٩.

ويجوزُ أن يكون مضارعًا، على حكاية الحال الماضية، نحو: ما يأتيني زيدٌ إلَّا حدَّثني، فهذا الفعلُ المضارعُ ماضٍ في المعنى، وإنما جاءَ بصيغةِ المضارعِ لغرضِ حكايةِ الحالِ الماضيةِ.

فقد أوردَ ابنُ السَّرَّاج أنك:" قد تقولُ: ما تأتيني إلَّا قُلْتَ حَسَنًا، وما تُحَدِّثني إلَّا صَدقْتَ، فمِنْ أينَ وَقَعَ الماضِي بعد (إلَّا)، والذي قبلَه مضارِعٌ؟ قِيلَ: المضارِعُ الذي قبلَه في معنى الماضي؛ لأنه حِكَايةُ الحالِ، ألا تَرَى أنَّ معناهُ: كُلَّمَا حدَّثتَنِي صَدَقَتَنِي، وكُلَّمَا جِئتَنِي قُلْتَ حَقًّا"[1]

وقد أحصى فضيلةُ المرحومِ الشيخ محمد عبد الخالق عُضيمة ستةَ عَشَرَ موضعًا في القرآن الكريم وَرَدَ فيها الماضي بعد (إلَّا) مُجَرَّدًا من (قد)، مسبوقًا بمضارعٍ منفِيٍّ، تسعٌ منها كان المضارعُ منفيًّا بـ(ما)، وستٌّ منها كان منفيًّا بـ(لا)، وآيةٌ واحدة كان منفيًّا بـ(إنْ).[2]

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ ﴾[4]

---

(1) الأصول ١-٢٩٩-٣٠٠ وينظر أيضا الاستغناء في الاستثناء للقرافي ٩٢-٩٣ البديع لابن الأثير ٢٣١/١.

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٢٨٠/١-٢٨١.

(3) سورة الأنعام من الآية ٤.

(4) سورة الحجر آية ١١.

حيث يقول الإمامُ الزمخشريُّ: "(وما يأتيهم) حكايةُ حالٍ ماضية؛ لأنَّ (ما) لا تدخُلُ على مُضَارعٍ إلَّا وهو في معنى الحالِ، ولا على ماضٍ إلَّا وهو قريبٌ من الحال"(١).

وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾(٢)

فقد قال الزمخشري:"(وما يأتيهم) حِكايةُ حالٍ ماضيةٍ مستمرةٍ، أي: كانوا على ذلك، وهذه تسليةٌ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاءِ قومِهِ به"(٣)

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٥)

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(٦)

---

(١) الكشاف ٤٠٠/٣ وينظر أيضاً البحر المحيط ٤٣٥/٥ الدر المصون ١٤٦/٧ غرائب القرآن للنيسابوري ٢١٢/٤.

(٢) سورة الزخرف آية ٦، ٧.

(٣) الكشاف ٤٢٦/٥.

(٤) سورة يونس من الآية ٦١.

(٥) سورة الفرقان آية ٣٣.

(٦) سورة هود من الآية ٥٤.

١١- مَجِيءُ المُضَارِعِ بَعْدَ (مُذْ، ومُنْذُ) .

(مُذْ، ومُنْذُ) مِنَ الألفاظِ المُشْتَرَكَةِ، يكونانِ حَرْفَيْنِ كمَا يكونانِ اسْمَيْنِ.

فيكونا حرفين إذا وقع بعدهما اسمٌ مجرورٌ نحو: ما رأيتُه مُذْ يَوْمَيْنِ، وما نِمْتُ منذ ليلتَيْنِ.

ويكونان اسمين في حالتين:

إحداهما: إذا وَقَعَ بعدها اسْمٌ مرفُوعٌ، نحو: ما رأيتُه مُذْ يومُ الجُمُعَةِ.

والثانية: إذا وَقَعَ بعدَها جُمْلَةٌ، الأكثرُ فيها أنْ تكونَ فِعْلِيَّةً[1]، نحو قولِ الشاعر:

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إزَارَه .:. فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الأَشْبَارِ.[2]

([1]) ارتشاف الضرب ١٤١٧/٣ الجنى الداني ٥٠٣ المساعد ٥١٢/١ التصريح ٧٨/٣.

([2]) البيت من الكامل، وهو للفرزدق من قصيدة له يرثِى بها يزيدَ بن المهلّب بن أبى صفرة، ديوانه ٣٧٨ والبيت تجده في" المقتضب ١٧٤/٢ شرح التسهيل لابن مالك ٢١٧/٢ شرح الكافية الشافية ٨١٥/٢ الارتشاف ١٤١٧/٣ الجنى الداني٥٠٤ أوضح المسالك ٥٥/٣ المقاصد الشافية ٣٨٦/٣ التصريح ٧٨/٣ شرح الأشموني ٣٤٢/٢ الخزانة ٢١٢/١. سما: شب وارتفع، أدرك: بلغ أو لَحِقَ، خمسة الأشبار: اختلف في تأويلها: فقيل: مقدار ارتفاع قامته وبلوغه حد الصبا، وقيل: أراد بها السيف لأن الأغلب فيه أن يكون طوله خمسة أشبار.

والشاهد فيه: قوله:" مذ عقدت" حيث أضيفت "مذ" إلى الجملة الفعلية .

وقد تكونُ اسْمِيَّةً، نحو قولِ الشاعرِ:

مَا زِلْتُ مَحْمُولاً عَلَيَّ ضَغِيْنَةٌ ∴ ومُضْطَلِعَ الأَضْغَانِ مُذْ أَنَا يَافِعُ.(١)

وفي هذا يقولُ ابنُ مالكٍ–رحمه الله–:

وَمُذْ، ومُنْذُ اسْمَانِ حَيْثُ رَفَعَا ∴ أَوْ أُولِيَا الفِعْلَ كَـ(جِئْتُ مُذْ دَعَا)(٢)

وقد اشْتَرَطَ النَّحْوِيُونَ فِيمَا تَدْخُلُ عليه (مُذ، ومُنذُ) مِنَ الأَفْعَالِ أَنْ يكونَ مَاضِيًا، فلا تَدْخُلُ على المُضَارِعِ أو الأَمْرِ.

حيثُ ذَكَرَ الشَّاطِبيُّ أَنَّ تمثيلَ ابنِ مَالِكٍ بقولِهِ:" (كَجِئْتُ مُذْ دَعَا) يَظْهَرُ أَنَّ النَّاظِمَ أَتَى به في مَعْرِضِ التقييدِ للفِعْلِ المَذْكُورِ؛ لأَنَّ قولَه: (أو أُولِيَا الفِعْلَ) مُطْلَقٌ، لا يَخْتَصُّ بِمَاضٍ دُوْنَ مُضَارِعٍ أو أَمْرٍ، والمُسْتَعْمَلُ مع (مُذ، ومُنذ) مِنَ الأفعالِ إِنَّمَا هو المَاضِي، فلا يُقَالُ: ما أَفْعَلُ ذلك مُنْذُ يَقومُ زيدٌ، وأَوْلَى أَلَّا تَدْخُلَ عَلَى فِعْلِ الأَمْرِ"(٣).

---

(١) البيت من الطويل، وهو للكميت بن معروف، وتجده في" الكتاب ٤٥/٢ شرح التسهيل ٢١٨/٢ شرح الكافية الشافية ٨١٥/٢ ارتشاف الضرب١٤١٦/٣ الجنى الداني٥٠٤ المساعد٥١٢/١ المقاصد الشافية ٣٨٦/٣. الضغينة: ما يكون في القلب من حقد أو حسد، ومضطلع الأضغان: المضطلع: هو الذي يقوى على ما يناط به يقال فلان مضطلع بهذا الأمر، أي: قويٌ عليه، والمعنى هنا: أنه يحمل الأضغان في قلبه لمن يحملها له، يافع: الذي قارب البلوغ. والشاهد فيه قوله : مذ أنا يافع حيث أضيفت " مذ " إلى الجملة الاسمية.

(٢) الألفية باب حروف الجر.

(٣) المقاصد الشافية ٦٨٧/٣.

ويُؤَيّدُهُ ظَاهِرُ الكتابِ، حيثُ ذَكَرَ سيبويه في بابِ ما يُضَافُ إلى الأفعالِ مِنَ الأسْمَاءِ:" ومِمَّا يُضَافُ إلى الفِعْلِ أيضًا قولُكَ: مَا رَأَيْتُه مُذْ كَانَ عِنْدِي، ومُذْ جَاءَنِي"(١).

فَإنَّه اقْتَصَرَ على التَّمْثِيلِ بالفِعْلِ المَاضِي.

فإنْ قِيلَ: هَلْ يَجُوزُ أنْ يَقَعَ بَعْدَهُمَا المُضَارِعُ ويَكُونُ على حِكَايَةِ حَالٍ مَاضِيَةٍ؟

والجَوَابُ: مَنَعَ ابنُ عصفور ذلك، مُعَلِّلًا بأنَّ" الفِعْلَ إذا وَقَعَ بَعْدَهُمَا فلِأَنَّه عَلَى تقديرِ زَمَنٍ مَحْذُوفٍ، فهو هُنَا مَجَازٌ، فَكَرِهُوا أنْ يَكُونَ ثَمَّ مَجَازَانِ، حَذْفُ الزَّمَانِ، وحِكَايَةُ الحَالِ"(٢).

وهذا التأويلُ منه بِنَاءً على مَا ذَهَبَ إليه مِنْ أنَّ (مُذ، ومُنذُ) إذا وَلِيَهُمَا الفِعْلُ فهُمَا ظَرْفَانِ مُضَافَانِ إلى زمنٍ مُضَافٍ إلى الجُمْلَةِ الفعليةِ. فإذا قلتَ: مَا رَأَيتُهُ مُذْ قَامَ زَيْدٌ، فالتَّقدِيرُ عِنْدَه: مُذْ زَمَانِ قامَ زَيْدٌ، أي: مُذْ زَمَانِ قِيَامِهِ؛ إذ الإضَافةُ- في الحقيقةِ- إنَّما هي إلى المَصْدَرِ لَا إلى الفِعْلِ. وهذا الرَّأيُ قَالَ به الجُزُولِي(٣) وجماعةٌ.

وفي الحَقِيْقَةِ أنَّ المَنْعَ يَطَّرِدُ أيضًا عَلَى مَذْهَبِ الجُمْهُورِ القائِلِ بأنَّهُمَا ظَرْفَانِ مُضَافَانِ إلى الجُمْلَةِ المَذكُورَةِ، ولَا زَمَانَ مُقَدَّرٌ، فقد ذَكَرَ الصَّبَّانُ أنَّهُم مَنَعُوا دُخُولَ (مُذ، ومُنذ) على ما يَدُلُّ على المُسْتَقبلِ مِنَ الأفْعَالِ(المُضَارِعِ،

---

(١) الكتاب ١١٧/٣.

(٢) شرح الجمل ٦١/٢ وينظر أيضًا تمهيد القواعد لناظر الجيش ١٩٧٦/٤.

(٣) شرح المقدمة الجزولية للأبذي السفر الثاني ١٣٨-١٣٩ ت د/ سعيد بن مُشبَّب الأسمري. وينظر أيضًا المقاصد الشافية ٦٨٤/٣-٦٨٥.

والأمْرِ)، " ولَمْ يُجِيزُوه على حِكَايةِ الحَالِ؛ لِئَلَّا يَجْتَمِعَ مَجَازَانِ، تَأْوِيلُ المُضَارِعِ بالمَصْدَرِ ؛ لأنَّه مُضَافٌ إليه، واسْتِعْمَالُه في المَاضِي"(١).

فإذا كان الزَّمَانُ مَوجُودًا (أي: حاضرًا) فابنُ عُصْفُور يُجِيْزُ مَجِيءَ المُضَارِعَ بَعْدَهُمَا بشرطِ ألَّا يَعْمَلَ في ظَرْفٍ مَاضٍ ولا مُسْتَقبَلٍ، **ويَحْمِلُ ذلك على حِكَايَة الحَالِ المَاضِيَةِ.**

فيقولُ:" واعْلَمْ أنَّ (مُذ، ومُنْذُ) إذا وَقَعَ بَعْدَهُمَا الزَّمَانُ، وَوَقَعَ بَعْدَهُمَا الفِعْلُ، فلَابُدَّ أنْ يكونَ ذلك الفِعْلُ مَاضِيًا. وإنْ كانَ مُضَارِعًا فلا يَجُوزُ إعْمَالُهُ في ظَرْفٍ مَاضٍ، ولا مُسْتَقْبَلٍ، فلا تقولُ: مَا رأيتُهَ مُذْ زَمَن يقومُ أمس؛ لِتَنَافُرِ مَا بَيْنَ (يَقُومُ) و (أَمْسِ). وكذلك لا يَجُوزُ: مَا رَأَيْتُه مُذْ زَمَن يَقُوْمُ غَدًا؛ لِأَنَّ مَعْنَاه المَاضِي، ولَا يَقَعُ المُضَارِعُ مَوْقِعَ المَاضِي إلَّا فِي مَوَاضِعَ مَحْفُوظَةٍ. فإنْ جِئْتَ بفِعْلٍ مُضَارِعٍ فإنَّما يَكُونُ وَحْدَه غَيْرَ مُعْمَلٍ في شيءٍ، ويكونُ على حِكَايَة الحَالِ، فتقولُ: مَا رأَيْتُهُ مُذْ زَمَن يقومُ، تُرِيدُ: مُذْ زَمَن كانَ فيه يَقُومُ"(٢).

والذي يَظْهَرُ لي أنَّ القَوْلَ بِجَوَازِ مَجِيءِ المُضَارِعِ بعد (مُذ، ومُنْذُ) وحَمْلِ ذلك على حكايةِ الحَالِ لا يَتَوَجَّهُ؛ لأمرٍ يَرْجِعُ إلى دَلَالَةٍ (مُذ، ومُنْذُ) فإنَّهُمَا يَدُلَّانِ على الأَمَدِ كُلِّهِ، أو بدايتِه، وبِدَايةُ الأَمَدِ يَدُلُّ عليها الفِعْلُ المَاضِي، نحو: ما رأيتُه مُذْ سَافَرَ وَالِدُهُ، أمَّا الأَمَدُ كُلُّه (أو الغاية)، فإنَّ مَعْنَاه يَخْتَصُّ بِمَا كانَ حَاضِرًا، والفِعْلُ المُضَارِعُ بِطَبِيعَتِهِ ودَلَالَتِهِ " لا يُعْطِي انْتِهَاءَ تلك الغَايَةِ إذا قُلتَ: مُنْذُ يَقُومُ زَيْدٌ؛ إذْ لَعَلَّه بَعْدُ يَقُوْمُ، فَلَا يَكُونُ للغايةِ كُلِّهَا"(٣).

---

(١) حاشية الصبان ٢/٣٤٠.

(٢) شرح الجمل ٢/٦١.

(٣) المقاصد الشافية للشاطبي ٣/٦٨٧.

١٢- مَجِيءُ المضارعِ بمعنى الماضي حالًا.

الأصلُ في الحالِ أن تكون مفردةً، نحو قولِهِ تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[١]، ويجوز أن تأتي جملةً كما تأتي الأخبارُ والنُّعُوتُ كذلك.

فتكون جملةُ إسميَّةً، نحو قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾[٢]، وجملةً فعليّةً، ولا يخلو زمنُ الفعلِ أن يكون حاضرًا أو مستقبلًا أو ماضيًا[٣].

وقد ذهب النحويون إلى أنه يَحْسُنُ في الحَالِ النحوية أنْ تكون بمعنى الحاضرِ بالنسبة إلى زَمَنِ عَامِلِها، وهي التي يُسَمّيها النحويون (حالًا مُقَارِنَةً)؛ لأنَّ تحقُّقَ معناها مُقَارِنٌ لزمنِ تحقُّقِ معنى عامِلِها، وحُصُولِ مضمونِهِ، بحيثُ لا يتخلَّفُ وقُوعُ معنى أحدِهما عن الآخرِ، ومِنْ ذلك قولُه تعالَى ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [٤] فإنَّ بيانَ حالِها بأنَّها عجُوزٌ مقارنٌ لزمنِ المضارع (أَلِدُ)، وكذا الشيخوخةَ لزوجِها مُقَارِنةٌ للإشارةِ بـ(هذا) من حيثُ الزمانِ. وحكى ابنُ هشامٍ أنَّ هذا "هو الغالبُ"[٥] فيها؛ لأنَّ الحالَ تُبَيِّنُ هيئةَ صاحبها وقتَ وقوعِ الفعلِ.

---

(١) سورة طه من الآية ٨٦.

(٢) سورة الكهف من الآية ٣٥.

(٣) أمالي ابن الشجري ١٢/٣.

(٤) سورة هود من الآية ٧٢.

(٥) المغني٤٢٧/٥ وينظر أيضًا التصريح ٦٦٣/٢ شرح الأشموني ٢٨٧/٢ الهمع ٢٤٦/٢.

وبناءً على ذلك اشْتَرَطُوا فيها أَلَّا تكونَ ماضِيَةَ المَعْنَى مُنْقَضِيَةً قبلَ زَمَنِ عامِلِها، أو مستقبَلَةً عنه[1]، **وحَمَلُوا ما وَرَدَ منها بمعنى الماضِي من فعلٍ مضارعٍ أو اسمِ فاعلٍ- بحيثُ يسبقُ معناه معنى عاملِهِ- على أنه حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.** ومنه قول الشاعر:

وَلَقَد أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِي .·. فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ: لا يَعْنِينِي[2].

(1) مَنَعَ النحويون أن تقترنَ جملةُ الحالِ بدليلِ استقبالٍ، فقد قال ابنُ مالك:" وتقعُ الحالُ جملةً خبريةً غيرَ مُفتتَحَةٍ بدليل استقبال...". تسهيل الفوائد ١١٢. كما ذكر الرضي أنهم" التزموا تجريدَ صدرِ هذه الجملة عن عَلَمِ الاستقبال؛ لتناقض الحالِ والاستقبال في الظاهر" شرح الكافية ٤٣/٢.

وأَوَّلُوا ما ورد من أمثلةِ الكتابِ من نحو قولهم:" مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا"(الكتاب ٥٢/٢) بأنّه حالٌ مُقَدَّرة، وهي التي يكون زَمَنُ تحقُّقِها مستقبلًا بالنسبةِ إلى زمنِ تَحَقُّقِ عاملِها. فإنَّ (صائدًا) اسمُ فاعِل وقد خُصِّصَ للاستقبالِ بـ(غدا)، والعاملُ في الحال (مررتُ)، وهو ماضٍ، فيكون التأويلُ: مُقَدِّرًا به الصيدَ غدًا. أمالي ابن الشجري ١٤/٣ شرح الجمل لابن عصفور ٣٣٨/١ المغني ٤٢٨/٥ تمهيد القواعد ٢٣٢٩/٥.

(2) البيت من الكامل، وهو لشمر بن عمرو الحنفي، وتجده في الكتاب ٢٤/٣ شرح السيرافي ٢١٨/٣ الخصائص ٣٣٢/٣ أمالي ابن الشجري ٤٨/٣ شرح الجمل لابن عصفور ٢٥٠/١ شرح الكافية للرضي ٢١/٢ شرح ابن الناظم ١٩٢ توضيح المقاصد للمرادي ١٣٤/٣ المغني ١٢٠/٢ المقاصد الشافية للشاطبي ٢٦٤/٤ المقاصد النحوية ١٥٥٢/٤. والشاهد فيه هنا أنَّ جملة (يسبني) وقعت حالًا من (اللئيم) على حكاية الحال الماضية.

فـ(يَسُبُّنِي) جملةٌ فعليةٌ فِعْلُها مضارعٌ، وقد وقعتْ حالًا من (اللئيم) –على وجهٍ–[1] حِكَايةً للحال الماضيةِ، والفعل (أمُرُّ) هو مُتَعَلَّقُ الجار والمجرور (على اللئيم)، وهو وإنْ كانَ مضارعًا في اللفظ إلَّا أنه ماضٍ في المعنى، وتقديرُه: ولقد مَرَرْتُ[2]. إلَّا أنَّ الشاعرَ استخدمَ الفعلَ المضارعَ (يَسُبُّنِي) – الذي هو أصلٌ في الدلالة على الحالِ أو الاستقبال–؛ استحضارًا للصورة وحكايةً لحالِ هذا اللئيمِ الذي من عادتِه أنْ يَسُبَّه، ويُصَوِّرها كأنَّها جاريةٌ متجددةٌ، وكيف أنَّ الشاعرَ – لِحِلْمِهِ– يَتَجاهلُه ويُعْرِضُ عنه قائلًا: إنه لا يَهُمُّني، أو لا يَقْصِدُنِي[3].

يقول ابنُ جني:" وأمَّا قولُه: (وَلَقَد أَمُرُّ عَلَى اللَّئيمِ يَسُبُّنِي) فإنَّما حَكَى فيه الحالَ الماضِيَةَ، والحالُ أبدًا بالمضارعِ، نحو قولك: زيدٌ يتحدَّثُ، ويقرأُ. أي: هو في حالِ تَحَدُّثٍ وقِرَاءةٍ. وعَلَى نَحْوٍ مِنْ حِكَايةِ الحَالِ في نحوِ هذا قَولُك: كانَ زيدٌ سيقومُ أمس، أي: كان مُتَوَقَّعًا منه القِيَامُ فيما مَضَى"[4].

وقال الأُبذيُّ:" وأمَّا وقُوعُه حالًا من اسمٍ قد عَمِلَ فيه عَامِلٌ معناهُ المضيُّ، نحو: جاء زيدٌ يضحكُ، فإنه على حكاية الحالِ الماضيةِ..."[5].

---

(1) الوجه الآخر أن تكون صفةً لـ(اللئيم) لأنَّ (ال) فيه لمَّا كانت للجنس قرَّبته من النكرات فجاز نعته بالجملة. المقاصد النحوية ١٥٥٣/٤ خزانة الأدب ٣٥٧/١.

(2) شرح السيرافي ٢١٨/٣ شرح الجمل لابن عصفور ٢٥٠/١.

(3) خزانة الأدب ٣٥٨/١.

(4) الخصائص ٣٣٢/٣. وينظر أيضًا المقاصد الشافية ٢٦٤/٤ خزانة الأدب ٣٥٨/١.

(5) شرح الجزولية للأبذي ٢٥٤/١.

وكان مِنْ دَلَالَاتِ استخدامِ المُضَارعِ (يَسُبُّنِي) هنا أنَّه لم يُرِدْ ماضيًا منقطعًا، وأنَّ ذلك كانَ من اللئيمِ مرَّةً ثم انقضتْ ولم يَعُدْ إليه، بل أرادَ تَكَرُّرَ حُصُولِه منه، وأنَّ هذا سجيتُهُ ودأبُه.

ولهذا قال البغدادي:" وعَبَّرَ بالمضارعِ حِكَايةً للحالِ الماضيةِ- كما في الخَصَائِصِ لابن جني- أو للاستمرار التَّجدُّدي"(١).

ومِثْلُ الفعلِ المُضَارعِ في ذلك اسمُ الفاعِلِ، فقد عَدَّ ابنُ هشام مِن أقسامِ الحالِ بالنسبةِ إلى زَمَنِ عامِلِها: "ومحكِيَّةً، وهي الماضية، نحو: جاء زيدٌ أمس راكباً"(٢).

فجَعَلَ اسمَ الفاعِلِ الدَّال على معنى ماضٍ حالًا على تأويل الحكايةِ للحال الماضيةِ.

(١) خزانة الأدب ٣٥٨/١. وينظر أيضًا شرح السيرافي ٢١٨/٣.
(٢) المغني ٤٢٩/٥.

المَبْحَثُ الثانِي: حِكَايَةُ الحَالِ المُسْتقبلَةِ

١- وقوعُ المضارعِ بمعنى المستقبلِ خبرًا لـ(كان).

تدخلُ (كان) الناسخةُ على الجملةِ الاسمية فتُحْدِثُ فيها إلى جانبِ الأثرِ الإعرابيّ دلالةً زمنيةً وهي المُضِيّ، حيثُ تُفِيْدُ حُصُولَ الخبرِ للاسمِ في الزمانِ الماضي، وذلك إمَّا منقطِعًا عن زمنِ التَّكلُّم، نحو: كان الشيخُ شابًّا، أو غير منقطعٍ كما في الأخبارِ عن الله -عز وجلّ-، نحو قولِه تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيما﴾[١].

يقول الإمام عبد القاهر: " فإذا قلتَ: كان زيدٌ قائمًا، كان بمنزلة قولك: قامَ زيدٌ، في أنَّه يدُلُّ على قيامٍ في زمنٍ ماضٍ"[٢].

ولعلَّ هذا هو ما دعا الكوفيين[٣] وجماعةً إلى القولِ بأنَّ وقوعَ الأفعالِ الماضيةِ خبرًا لـ(كان) غيرُ مُستَحْسَن[٤]؛ من جهة أنَّ (كان) تدلُّ على

---

(١) وردت ختام آيات كثيرة من سورة النساء ١٧، ٩٢، ١٠٤، ١١١ وسورة الفتح آية ٤. والقولُ باستمرارِ حُصُولِ الخبرِ في هذا وأمثالِهِ إنما هو لقرينةٍ شرعيَّةٍ، وهي وجوبُ تنزيهِ الله عز وجلَّ عن كلِّ نقصٍ لا يليق بذاته المقدسةِ.

(٢) المقتصد ٣٩٨/١ وينظر أيضًا البديع لابن الأثير ٤٧٤/١ شرح الجمل لابن عصفور ٣٨٠/١ شرح الكافية للرضي ١٤٣/٢ التذييل والتكميل ١٥١/٤ المقاصد الشافية للشاطبي ١٤٥/٢.

(٣) لم أقف عليه في الموفي في النحو الكوفي ٢١٠ القسم السابع. ونسبه إليهم أبو حيان في التذييل والتكميل ١٥١/٤ ارتشاف الضرب ١١٦٧/٣.وحَكَى الرضي عن ابن درستويه القول بمطلق المنع شرح الكافية ١٤٢/٢.

(٤) اختلف النحويون في دخول (كان) على مبتدأٍ خبرُهُ فعلٌ ماضٍ، فمنعه الكوفيون ومَنْ قال برأيهم، قال ابن مالك: "وهذا الرأي باطلٌ؛ إذ ليس لصاحبه حجةٌ، مع الاستعمال ==

المُضِيّ، فإذا كان الخبرُ فعلًا ماضيًا لم يكن للإتيان بـ(كان) كبيرُ فائدةٍ؛ لأنَّ المُضِي قد فُهِمَ من الخبرِ.

فقد حَكَى الإمامُ الرضي عن النحويين: " وجُمْهُورُهُم على أَنَّه غيرُ مُسْتَحْسَنٍ، ولا يَحْكُمُون بمطلق المنعِ، قالوا: فإنْ وَقَعَ فلابُدَّ من(قد) ظاهرةً أو مُقَدَّرةً؛ لتفيدَ التقريبَ من الحالِ، إذْ لم يُسْتَفَد من مجرَّدِ (كان)"[1] ثم ذكر ما ينبغي أنْ يُقالَ تصحيحًا لهذا التركيب قائلًا:" فينبغي أنْ يُقَالَ: كان زيدٌ قائمًا، أو: يقومُ"[2].

فلا يُقَالُ: كان زيدٌ سَافَرَ؛ لعدمِ الفائدة، بل يُسْتحسنُ أن يُقالَ: كان زيدٌ مسافرًا، فيكونُ الخبرُ مفردًا، أو يُؤتى بالفعلِ مضارعًا، فإنَّ مَجِيءَ المُضَارِعِ خبرًا لـ(كان) من القرائن التي تَصْرفُ زَمَنَه إلى المضي، أو يُؤتَى بـ(قد) ظاهرةً أو مقدَّرةً؛ لأنها تقرّبُ الماضي من الحالِ.

وكذا يُسْتَحسنُ أنْ يقع الخبرُ فعلًا بمعنى المستقبل؛ **لأنَّ (كان) في هذا الموضع تجعلُ الكلامَ حكايةَ حالٍ مستقبَلةٍ.**

==

لخلافه" شرح التسهيل ٣٤٤/١ وقال أبو حيان:" والصحيحُ جواز ذلك دون اشتراط (قد)" وجعلَ دلالة (كان) في هذا التركيب " أنها تفيد التوكيد، والتوكيدُ أولى من إضمار حروف المعاني؛ لكثرة ذاك، وقلة هذا، وأيضًا فقد كثُرَ ذلك في كلامهم نظمًا ونثرًا كثرةً تُوجِبُ القياس...." التذييل والتكميل ١٥١/٤ وينظر أيضًا شرح الجمل لابن عصفور ٣٨١/١ تمهيد القواعد ١٠٩٥/٣.

(١) شرح الكافية ١٤٣/٢..

(٢) المرجع السابق.

فقد حكى ابنُ جني أنَّ قولَهم: كان زيدٌ سيفعلُ كذا، معناه: كان مُتَوَقَّعًا منه ذاك[1]. وإذا قُلتَ: كان زيدٌ سيسافرُ، فمعناه: كان متوَقَّعًا منه السفرُ، فيكون لدخولِ (كان) فائدةٌ، وهي حكايةُ الحالِ المستقبلةِ.

يقول ابنُ الأثير:" فأمَّا إذا جعلْتَ الخَبَرَ مستقبلًا فإنَّه مستحسنٌ، تقول: كان زيدٌ يقومُ؛ لأنَّ (كان) جَعَلَت الكلامَ مع المستقبلِ حِكَايةَ حالٍ، بخلافِ الماضي"[2].

(1) التمام في أشعار هذيل ٩٤.

(2) البديع في علم العربية ١/٤٧٤.

٢- زَمَنُ المُضَارِعِ إذا دَخَلَتْ عليه لامُ الابتداءِ في خَبَرِ (إنَّ).

مِمَّا اختُصَّت به (إنَّ)-المشددةُ مكسورةُ الهمزةِ- مجيءُ لامِ الابتداءِ في بَابِها لِتَمْنَحَ الجُمْلَةَ مزيدًا من التوكيد. فتدخُلُ على اسمِ (إنَّ)، وخبرِها، ومعمولِهِ، وَفْقَ الشُّروطِ التي وَضَعَها النحويون لذلك[١]، وتدخل أيضًا على ضميرِ الفَصْلِ لكن بلا شرطٍ.

ونظرًا لأنَّ (إنَّ) مِن نَوَاسِخِ المبتدأ والخبرِ فإنَّ خَبَرَها يأتي على الصُّوَرِ التي يكونُ عليها خبرُ المبتدأ، فيكونُ مفردًا، نحو: إنَّ زيدًا لَقَائمٌ، ويكون جملةً، نحو: إنَّ زيدًا لأبُوه فَاضِلٌ، وإنَّ زيدًا لَيقُومُ أخوه، وشبه جملة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

وقد ذهب أكثرُ النحويين[٣] إلى أنَّ الخبرَ إذا كان فعلًا مضارعًا فإنَّ لامَ الابتداءِ تُخَلِّصُ زَمَنَه للحَالِ، بعد أنْ كان مُبْهَمًا يصلُحُ للحالِ والاستقبالِ.

فقد قال أبو علي الفارسي عن المضارعِ في قوله تعالى:"﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[٤] الفعلُ للحالِ دون الاستقبال"[٥]

---

(١) التصريح ٢/٤٧-٥٥

(٢) سورة القلم آية ٤.

(٣) ينظر في ذلك الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ٢/٦ شرح التسهيل لابن مالك ١/٢٢ البسيط ٢/٧٨٧ التذييل والتكميل ١/٩٢ المغني ٣/٢٣٩ تمهيد القواعد ١/١٩٤ الدر المصون ٦/٤٥١.

(٤) سورة النحل من الآية ١٢٤.

(٥) التعليقة ٢/٢١٦ وينظر أيضًا سر صناعة الإعراب ٣٩٥ متن المفصل للزمخشري ٢٤٤.

وعَدَّ ابنُ أبي الربيع من معاني لام الابتداء" التخليص للحالِ، سواءٌ دَخَلَتْ على الفعلِ المُضَارِعِ، أم على اسمِ الفَاعِلِ وأمثلةِ المُبَالَغَةِ، فإذا أدْخَلْتَ اللامَ فقلتَ: إنَّ زيدًا لَيَقُومُ، تَخَلَّصَ للحالِ"(١).

وقال ابنُ هشام عن لامِ الابتداء:" وفائدتُها أَمْرَانِ: توكيدُ مَضْمُونِ الجُمْلَةِ؛ ولهذا زَحْلَقُوهَا في باب (إنَّ) عن صَدْرِ الجُمْلَة؛ كراهيةَ ابتداءِ الكلامِ بمؤكِّدَيْنِ، وتَخْلِيصُ المضارعَ للحالِ، كذا قال الأكثرون"(٢).

وخَالَفَهُم في ذلك جماعةٌ منهم ابنُ يعيش، وابنُ مالك، حيثُ يرون بقاءَ المُضَارعِ- إذا اقتَرَنَ بلامِ الابتداءِ- على أَصْلِ دَلَالَتِهِ الزمنية، يَصْلُحُ للحَالِ والاستقبالِ، دون قَصْرِهِ على الحالِ.

فأجازَ ابنُ مالك في الفعلِ المضارعِ المقترنِ بلام الابتداءِ أنْ يُرَادَ به الاستقبالُ إلى جانبِ ما تقرَّرَ له من الحالِ، فقال:" وأمَّا لامُ الابتداءِ فَمُخَلِّصَةٌ للحالِ عند أكثرِهِم، وليس كَمَا ظَنُّوا، بل جائزٌ أنْ يُرَادَ الاستقبالُ بالمَقْرُونِ بها، كقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾و ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾(٣) فـ(يَحْزُن) مقرونٌ بلام الابتداءِ، وهو مستقبلٌ؛ لأنَّ فاعلَه الذهابُ، وهو عند نُطْقِ يعقوبَ-عليه السلام- غيرُ مَوجُودٍ، فلو أُرِيْدَ

(١) البسيط ٧٨٧/٢.

(٢) المغني ٢٣٩/٣.

(٣) سورة يوسف من الآية ١٣.

بـ(يَحْزُن) الحالُ لَزِمَ سَبْقُ معنى الفعلِ لمعنى الفاعلِ في الوجُودِ، وهو مُحَالٌ"[1].

واختاره ابنُ يعيش من قبلُ قائلًا:" واعْلَمْ أنَّ أصحابَنا قد اختلفوا في هذه اللَّام إذا دَخَلَتْ على الفعلِ المضارعِ في خبر(إنَّ)، فذهب قومٌ إلى أنَّها تقْصُرُ الفعلَ على الحالِ بعد أنْ كان مُبْهَمًا،.... وذهب آخرونَ إلى أنها لا تقْصُرُه على أَحَدِ الزمانين، بل هو مُبْهَمٌ فيهما على ما كانَ، واستدلَّ على ذلك بقولِه تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾فلو كانتْ اللامُ تَقْصُرُه للحالِ كان مُحَالًا، وهو الاختيارُ عندنا..."[2]

وكان ذلك منهم استنادًا إلى وُرُودِهِ في السَّمَاعِ دالًا على الاستقبال، نحو قوله تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حيثُ عَمِلَ الفعلُ المضارعُ (يَحْكُمُ) في الظَّرْفِ المُسْتَقبلِ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، وقولِهِ تعالى حكايةً عن سيدنا يعقوب–عليه السلام–:﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾وتقدَّم توجيهُ ابنِ مالكٍ لها.

لكنَّ هذا التوجيهَ لم يُسَلَّمْ لهم، فقد ذكر أصحابُ الرأي الأول توجيهًا يجعلُهَا موافقةً لِمَا عليه أكثرُ النحويين، حيثُ حملوا ما جاء منها دالًا على المستقبل بأنه (حكايةُ حالٍ مستقبلة).

فَحَمَلَ أبو علي الفارسي قولَه تعالى: :﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ على حكاية الحال المستقبلةِ، وذلك أنَّ حُكْمَ الله بين خلقِهِ وفَصْلِهِ بين عِبَادِهِ لَمَّا

(1) شرح التسهيل ٢٢/١.
(2) شرح المفصل ٢٦/٩.

كان حَاصِلًا لا مَحَالَةَ صار كأنَّه واقعٌ في الحالِ، ونُزِّلَ مَنْزلة الحاضِرِ المُشَاهَدِ.

فيقول:" فإنْ قيل: كيفَ صَارَ للحَالِ وقد اتَّصَلَ به (يوم القيامة) كما تقولُ: يَضْرِبُ زيدٌ غَدًا؟ قيل: أُرِيْدَ به حكايةُ الحالِ، وإنْ اتَّصَلَ به ما هو في المعنى مُسْتَقبلٌ، ولك أنْ تَحْكِي الحالَ كانت فيما مَضَى أو فيما يُستقبَلُ"(١).

بينما رَدَّ الأبَّذيُّ وأبو حَيَّان وجَمَاعةٌ أصلَ الاستدلالَ بالآية الكريمة، مِنْ جِهَةِ أنَّ مَنْ يقولُ بأنَّ لامَ الابتداءِ تُخَلِّصُ المُضَارِعَ للحال قيَّدُوا ذلك بألَّا يقترنَ بالفعل دليلُ استقبالٍ.

يقول الأُبَّذِي:" ومِنَ القَرَائِنِ المُخَلِّصَةِ له للحَالِ نَفْيُهُ بـ(ما)، ودُخُولُ لامِ (إنَّ) عليه، فإذا قلتَ: ما يقومُ زيدٌ، وإنَّ زيدًا لَيَقُومُ- ولم يَقْتَرِنْ بالفعلِ قرينةٌ تَشْهَدُ للاستقبالِ- لم يُحْمَلْ إلَّا على الحال"(٢).

وعقَّبَ ناظرُ الجيش بقوله:" فَعَلَى هذا لا ينهضُ استدلالُ المصنف على ما ادَّعَاه بقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾؛ لأنَّ عَمَلَه في الظرفِ المستقبلِ الذي هو (يوم القيامة) قرينةٌ تُخَلِّصُهُ للاستقبال"(٣).

---

(١) التعليقة ٢١٦/٢. وهذا التخريجُ استحسنه ابنُ أبي الربيع قائلًا:" وهذا الذي ذهب إليه أبو علي حَسَنٌ، ويبقى مع الأكثر" البسيط ٧٨٧/٢، وقال به أيضًا ابنُ هشام في المغني ٦٩١/٦.

(٢) شرح الجزولية للأبذي ٢٥٦/١ ت د/ سعد حمدان الغامدي وينظر أيضًا التذييل والتكميل ٩٢/١ تمهيد القواعد ١٩٥/١.

(٣) تمهيد القواعد ١٩٥/١.

وتخليصُ المضارع للاستقبالِ إذا عمل في ظرفٍ مستقبلٍ أمرٌ لا يخالفُ فيه ابنُ مالك، فقد صرَّح أنَّ المضارعَ يتخلَّصُ للاستقبالِ بظرفٍ مستقبلٍ، وذلك على ضربين: أنْ يكون الفعلُ عاملًا في الظَّرفِ، أو يكون الظرفُ مضافًا إلى الفِعْلِ، نحو: أَزُورُكَ إذا تَزُوْرُنِي، فـ(أزورك) عاملٌ في (إذا)، وهو ظرفٌ مستقبلٌ مضافٌ إلى (تزورني) فتخلَّصَا به للاستقبال.[1]

وأُجيب عن قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ من وجهين:

أحدهما: وُجُوْدُ القَرِيْنَةِ الصَّارِفَةِ للفِعْلِ إلى الاسْتِقْبَالِ، وهي كَوْنُ المُسْنَدِ إليه مُتَوَقَّعًا حُصُولُه، حيث ذكر ابنُ هشام" أنَّ الحُكْمَ في ذلك اليوم واقعٌ لا مَحَالَةَ، فَنُزِّلَ مَنْزِلَةَ الحاضِرِ المُشَاهَدِ"[2].

والثاني: أنَّ المَصْدَرَ المؤوَّلَ مِنْ (أنْ تذهبوا) ليس هو الفاعِلُ في الحقيقة، بل يَحْتَمِلُ أن يكون الفاعلُ مقدَّرًا دالًا على الحَالِ، حُذِفَ وأُقيمَ المَصْدَرُ المُؤوَّلُ مُقَامَه، فيكونُ المضارعُ(يَحْزُنُنِي) دالًّا على الحال.

فقدَّره أبو حيان بـ" (لَيَحْزُنُنِي نِيَّتُكُم أو قَصْدُكم أنْ تذهبوا به)، فالنِّيَة أو القَصْدُ حالٌ، وهو الفاعلُ بـ(يَحْزُن)، فهو حالٌ رَفَعَ ما هو حالٌ، وفِعْلُ الحالِ لا يمتنعُ أنْ يَعْمَلَ في المفعولِ المستقبلِ، نحو: أنوي الآنَ أنْ أجيئكَ غدًا، ثم حُذِفَ المُضَافُ وأُقِيمَ المُضَافُ إليه مُقامَه، ولا يَلْزَمُ مِنْ إعرابِهِ فاعلًا في الصّنَاعَةِ أنْ لا يكونَ مفعولًا في المَعْنَى بذلك المَحْذُوفِ"[3].

---

(1) شرح التسهيل لابن مالك ٢٣/١.

(2) مغني اللبيب ٢٤٠/٣ وينظر أيضًا تمهيد القواعد ١٩٥/١.

(3) التذييل والتكميل ٩٣/١.

ولم يَرْتَضِ ابنُ هشام هذا التقدير، ورَأَى أنَّ الأولَى تقديرُه بـ" (قَصْدُ أنْ تذهبوا به)، والقَصْدُ حالٌ"[1]. قال:" وتقديرُ أبي حيان: (قَصْدُكم أنْ تذهبوا) مَرْدُودٌ بأنَّه يقتضِي حَذْفَ الفاعلِ؛ لأنَّ (أنْ تذهبوا) على تقديره منصوبٌ"[2].

فالمَصْدَرُ المُؤوَّلُ من (أنْ تذهبوا) على تقدير أبي حيان مفعولٌ به منصوبٌ بالـ(قصْدِ)، وعلى تقدير ابنِ هشام مضافٌ إليه مجرورٌ.

قال الشُّمُنِّي:" ولا يُقَامُ المنصوبُ مُقَامُ ناصِبِه في إعرابِه، ويُقَامُ المُضَافُ إليه مُقَامُ المضاف فيه"[3].

وبعد عَرْضِ المسألة والآراء فيها يتبينُ أنَّ الآيتين الكريمتين لا يتم الاستدلالُ بهما للإمامين ابنِ يعيش وابنِ مالك، فيما ذَهَبَا إليه؛ وذلك لِوجُودِ قرينةٍ تُخَلِّصُ المضارعَ للاستقبال، والكَلَامُ إنما هو في حَالَةِ اقترانِهِ بلامِ الابتداءِ وتَجَرُّدِهِ مِنَ القَرَائِنِ الصَّارِفةِ له إلى المُسْتَقبَلِ.

وأنَّ تخريجَ أبي عليٍّ لقولِهِ تعالى:﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾بأنها "حكايةُ حالٍ" مُستقبلَة، وفي معناه ما ذَكَرَه ابنُ هشام عن قولِهِ تعالى:﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ﴾ مِنْ " أنَّ الحُكمَ في ذلك اليوم واقعٌ لا مَحَالَةَ فنُزِّلَ مَنْزِلَة الحَاضِرِ المُشَاهَدِ" فيه سَلَامةٌ مِنْ تَكَلُّفِ تقديرِ محذوفٍ –على رأي أبي حيان–، وبَقَاءٌ مع رأي أكثر النحويين الذين يَرَوْنَ أنَّ لامَ الابتداءِ قَرِينَةٌ تُخَلِّصُ المضارعَ للحالِ.

---

(1) المغني ٣/٢٤٠.

(2) المرجع السابق.

(3) حاشية الشمني على المغني ٢/٤٠-٤١.

٣- وقوعُ الماضي خبرا لـ(لعلَّ)

(لعلَّ) حرفٌ ناسخٌ مِنْ أخواتِ (إنَّ) يَنصبُ الاسمَ ويَرفَعُ الخبرَ.

وقد ذكر سيبويه معناها فقال:" (لعلَّ، وعسى) طمعٌ وإشفاقٌ"[١]. فالطمعُ: هو رجاءُ حُصُولِ المحبوبِ، نحو: لعلَّ السماءَ تُمطِرُ، والإشفاقُ: هو خشيةُ حُصُولِ المكروه، نحو قولك للحارس: انتبهْ، لعلَّ العدوَّ يهجُمُ.

ولأنها تدخُلُ على الجملةِ الاسمية فخَبَرُها هو خبرُ المبتدأ، يكونُ مفردًا، نحو: لعلَّ زيدًا نائمٌ، وجملةً، نحو: لعلَّ زيدًا أبوه مسافرٌ، وقوله تعالى: ﴿**لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**﴾[٢] وشِبْهَ جملةٍ، نحو: لعلَّ خالداً في البيتِ، ولعلَّ الجارَ عندنا.

ولم يَرِدْ الماضي خبرًا لـ(لعلَّ) في القرآنِ الكريم، وإنَّما الذي جاء جملةً فعليّةً فعلُها مضارعٌ، واسمًا مفردًا[٣].

وقد ذهبَ جماعةٌ منهم مَبْرَمَانُ[٤] والحَرِيري[٥] إلى أنَّ الفعلَ الماضي لا يقعُ خبرًا لـ(لعلَّ)، فلا تقولُ: لعلَّ زيداً قامَ أبوه.

---

(١) الكتاب ٢٣٣/٤.

(٢) سورة الطلاق من الآية ١.

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦٠٠/٢.

(٤) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل العسكري، الملقَّب بـ(مبرمان)، أخذَ النحو عن الإمام المبرد وطبقتِه، وهو الذي لقَّبه (مبرمان) لِكثرة ملازمته له وسُؤالِه إياه، وأخذَ عنه أبو علي الفارسي والسيرافي ومَنْ في طبقتهما، من تصانيفه كتاب (العيون) و(شرح كتاب سيبويه) ولم يتمه و(شرح شواهد كتاب سيبويه)، توفي ٣٢٦هـ . ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة ١٩٨/٣-١٩٠.

وينظر رأيه في: التذييل والتكميل٢٣/٥ الارتشاف ١٢٤١/٣ الهمع٤٣٣/١.

(٥) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري، نسبةً إلى الحرير عملِه أو بيعِه، فقد اشْتُهِرَ أجدادُه بذلك، كان نحوياً أديباً غاية في الذكاء والفطنة، أخذَ النحو عن ابن ==

واستدلوا على ذلك بأنَّ (لعلَّ) تأتي لمعنى الترجّي والإشفاق، وهما مِنَ المعاني الإنشائية التي تقعُ في المستقبلِ، فيُشكِلُ وقوعُ الماضي بعدها.[١]

يقول الحريري: "ويقولون: لعلَّه نَدِمَ، فيَلْفظونَ بما يشتملُ على المناقضة، ويُنبئُ عن المعارضة. ووجهُ الكلامِ أنْ يُقالَ: لعلَّه يَفعلُ، أو: لعلَّهُ لا يفعلُ؛ لأنَّ معنى (لعلَّ) التوقُّعُ لمَرْجوٍّ أو مَخُوفٍ، والتوقُّعُ إنما يكونُ لِمَا يتجدَّدُ ويَتَوَلَّدُ، لا لِمَا تَقَضَّى وتَصَرَّمَ. فإذا قلتَ: خَرَجَ، فقد أخبرتَ عمَّا قُضِيَ الأمرُ فيه، واستحالَ معنى التوقُّع له، فلهذا لم يَجُزْ دخولُ (لعلَّ) عليه"[٢].

وأجابوا عمَّا وَرَدَ في بعضِ الأساليبِ من وقوعِ الماضي خبرًا لـ(لعلَّ)، من نحو قولهم: أُريدُ أنْ أمضِي إلى فلانٍ لعلَّه خلا بنفسِهِ، أو أريدُ أنْ أمضِي إلى دارِهِ التي اشتراها لعلَّه سَكَنَ فيها، وقولِك في الخبرِ يَرِدُ عليك: لعلِّي سمِعْتُ هذا. أجابوا بأنها حِكَايةُ حالٍ[٣] مستقبَلَةٍ؛ تعبيرًا عمَّا يُتَوَقَّعُ أنْ يَقَعَ في المستقبلِ بلفظِ الماضي، تقريرًا للمعنى، وتأكيدًا لحُصُولِهِ.

==

فضَّال المجاشعي وغيره، ألّفَ في النحو منظومته الشهيرة (ملحة الإعراب) وله أيضا (درة الغوَّاص في أوهام الخَوَاص) و(المقامات) توفي ٥١٦هـ.

(١) المغني لابن فلاح اليمني ٨٩٠ التذييل والتكميل ٢٢/٥ ارتشاف الضرب١٢٤١/٣.

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص ١٥٨-١٥٩ ت/ عبد الحفيظ فرغلي، ط/دار الجيل ومكتبة التراث الإسلامي

(٣) البديع في علم العربية لابن الأثير ٥٣٥/١ المغني لابن فلاح ٨٩٠ التذييل والتكميل٢٢/٥ ارتشاف الضرب ١٢٤١/٣.

قال أبو حيان:" يدُلُّ عليه [أي: على تأويله بحكاية الحال المستقبلة] أنك تعطفُ عليه المضارعَ، فتقول: لعلَّه خَلَا بنفسِهِ فأُحدِّثه أو فيُحَدِّثني (رفعًا ونصبًا)، ولو قلتَ: فحدَّثْتُه، كان خطأً"(١).

ويرى جمهورُ النحويين أنه لا يمتنعُ وقوعُ الماضي خبراً لـ(لعلَّ).

قال ابنُ الأثير:" والمذهبُ جَوَازُ وقوعِ الماضِي خبرًا عنهما"(2).

وقال ابنُ هشام:" ولا يَمْتَنِعُ كونُ خبرِها فعلًا ماضيًا، خلافًا للحريري"(٣).

وأُجابوا عمَّا استدلَّ به المانعون من أنَّ (لعلَّ) معناها الترجِّي والإشفاق، وهما من المعاني التي تقعُ في المستقبلِ. بأنَّ (لعلَّ) وإنْ كان معناها ما ذُكِرَ إلَّا أنَّ وقوعَها غيرُ مُحَقَّقٍ، بل مشكوكٌ فيه ومظنونٌ، وهذا مما يَلزمُها، وذلك أنَّ الشكَّ والظنَّ يقعُ في الماضي والمستقبلِ على حَدٍّ سواء(٤). يدلُّ على ذلك أنَّ (ليت) للتمني، وهو أيضًا من المعاني الإنشائيةِ التي تتعلَّقُ بالمستقبل، قد وقع خبرُها ماضيًا في قوله تعالى: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾(٥) وجازَ أنْ يُتَمَنَّى بها الماضي على سبيلِ التَّندُّمِ(٦).

---

(١) التذييل والتكميل ٥/٢٢-٢٣ وينظر أيضًا الارتشاف ٣/١٢٤١.

(2) البديع في علم العربية١/٥٣٥.

(٣) المغني ٣/٥٢٩ ت/ الخطيب.

(٤) شرح الشهاب الخفاجي على درة الغواص ١٥٨.

(٥) سورة مريم من الآية ٢٣.

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٤/٣٩٥ المغني لابن فلاح ٨٩٠ مغني اللبيب ٣/٥٣١

واستدلوا أيضًا بالسماع، فإنَّ وُقوعَ الماضي خبرًا لـ(لعلّ) قد "وَرَدَ في الكلامِ الفصيحِ كثيرًا"[1] ومنه قولُ النبي صلى الله عليه وسلم في أهلِ بدرٍ:{ ومَا يُدريكَ لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهْلِ بدرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لكم}[2] وقولِ الفرزدق:

لَعَلَّكَ فِي حَدْرَاءَ لُمْتَ عَلَى الذي ∴ تَخَيَّرَتِ المِعْزَى عَلَى كُلِّ حَالِبِ[3].

وقولِه أيضًا:

أَعِدْ نَظَرًا يَا عَبْدَ قَيْسٍ لَعَلَّمَا ∴ أَضَاءتْ لك النَّارُ الحِمَارَ المُقَيَّدَا[4].

([1])شرح الشهاب الخفاجي على درة الغواص ١٥٨.

([2]) متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه (٦٤) كتاب المغازي، (٩) باب فضلِ مَنْ شهد بدرًا برقم(٣٩٨٣) وأخرجه مسلم (٤٤)كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم (٣٦)باب من فضائل أهل بدر برقم(٢٤٩٤).

([3]) البيت من الطويل، في ديوانه ٩٠ وتجده في النقائض ٨١٧ التذييل والتكميل ٢٣/٥ اتشاف الضرب١٢٤١/٣ شرح أبيات المغني١٧٨/٥. وحدراء: اسم امرأةٍ تزوجها الفرزدق على امرأته النَّوَّار. وهو هنا يهجو جريرًا و يُعرِّض بأبيه عطية الذي آثرتْهُ المعزى على كلِّ حالبٍ لمهاراته في حلبها دون مَنْ سواه.

والشاهد فيه: مجيء الماضي خبرًا لـ(لعلَّ).

([4]) البيت من الطويل للفرزدق ديوانه١٦١ برواية: فربما أضاءت...وهو يخاطب عمر بن لجأ التميمي، ويهجو جريرًا بأنَّ عشيرته أهلُ ذلةٍ وقلةٍ؛ لأنهم أصحاب حمير، وليسوا أصحاب خيول، وأنهم لا يأمنون مَنْ يطرقهم، ولذلك قيَّدوا حميرهم، كما وصف نارَهم بقلة الإضاءة مشيرًا إلى بخلهم، فهم لا يوقدون حطبًا كثيرًا حتى لا يقصدهم الضيفان. وتجده في شرح المفصل لابن يعيش ٥٧/٨ الأزهية ٨٨ رصف المباني٣١٩ مغني اللبيب ٥٢٢/٣، ٥٣١ شرح الأشموني ٢٤٣/١ شرح أبيات المغني١٦٩/٥. والشاهد فيه وقوع الماضي خبرًا لـ(لعل).

وقولِ امْرِئ القيس:

وَبُدِّلتُ قَرْحًا دَامِيًا بَعْدَ صِحَّةٍ .:. لَعَلَّ مَنَايَانَا تَحَوَّلْنَ أَبْؤُسَا[1].

"ومثلُهُ في النَّظْمِ والنَّثْرِ أكثرُ مِنْ أنْ يُحْصَر"[2].

وقد ذكرَ ابنُ هشام أنَّ وُقُوعَ الماضِي خبرًا لـ(لعلَّ) يستوي فيه أنْ تكون عاملةً أو مكفوفةً -كما في بيتِ الفرزدق-؛ "لأنَّ شُبْهةَ المانِعِ أنَّ (لعلَّ) للاستقبالِ، فلا تدخُلُ على الماضي. ولا فرْقَ -على هذا- بين كونِ الماضي معمولًا لها، أو معمولًا لِمَا في حَيِّزها"[3].

ولا تخفى قوةُ مذهبِ الجمهورِ ورَجَاحَةُ أدلَّتهم من السَّمَاعِ والقياسِ.

---

(1) من الطويل، ديوان امرئ القيس١٠٧ ويروى الشطر الثاني: فيالَكِ من نُعمَى تحوَّلنَ أبؤسا.
ويستشهد به في مغني اللبيب ٥٣١/٣ شرح أبيات المغني ١٧٨/٥ خزانة الأدب٣٣١/١.
والشاهد فيه وقوع الماضي خبرًا لـ(لعل).

(2) شرح الشهاب الخفاجي على درة الغواص ١٥٩.

(3) مغني اللبيب ٥٣١/٣.

٤- مَجِيءُ المُضَارِعِ بَعْدَ (لَو) الامْتِنَاعِيَّةِ .

عَرَّفَ سيبويه (لَو) الامتناعية بقولِهِ:" وأمَّا (لو) فَلِمَا كَانَ سَيَقَعُ لِوُقُوْعِ غَيْرِهِ"(١).

ومِنْ خِلَالِ هذا التَّعْرِيفِ يَتَّضِحُ عَدَدٌ مِنْ خَصَائِصِ (لو)، فهي تُفِيدُ عَقْدَ السَّبَبِيَّةَ والمُسَبَّبِيَّةِ بينَ الجُمْلَتَيْنِ بَعْدَهَا، وانْتِفَاءَ حُصُولِ السَّبَبِ، كمَا أَنَّهَا تَخْتَصُّ بالدِّخُولِ على الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ، وتَصْرِفُ مَعْنَاهَا إلى المُضِيّ(٢)، فلا يَلِيهَا مِنَ الأفعَالِ إلَّا مَاضِيًا، وإذا أَتَى بَعْدَهَا مُضَارِعٌ صَرَفتْ مَعْنَاه إلى المُضِيّ.

فَقد عَدَّها ابنُ مالكٍ من القَرَائِنِ التي تُخَلِّصُ معنى المُضَارِعِ إلى المُضِي، حيث يقولُ عنه: "ويَنْصَرِفُ إلى المُضِيّ بـ(لَم) و(لمَّا) الجازمةِ، و(لو) الشَّرْطِيَّةِ غالبًا، و(إذْ) و(رُبَّمَا) و(قد) في بَعْضِ المَوَاضِعِ"(٣).

وقد أَحْصِى فَضِيلةُ المَرْحُومِ الشيخ محمد عبد الخالق عُضَيمة سَبْعَةَ عَشَرَ مَوضِعًا في القرآن الكريمِ دَخَلَتْ فيها (لو) على الفعل المُضَارِعِ وصَرَفَتْ مَعْنَاهُ إلى المُضِيّ(٤).

منها قولُهُ تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾(٥)

---

(١) الكتاب ٢٢٤/٤.

(٢) الجنى الداني ٢٧٨-٢٨٣ مغني اللبيب ٣٧٤/٣.

(٣) تسهيل الفوائد ٥ وينظر شرح التسهيل ٢٧/١.

(٤) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦٤٧/٢.

(٥) سورة آل عمران من الآية ١٦٧.

قال أبو حيَّان:" و(نَعْلَمُ) هنا في مَوْضِعِ (عَلِمْنَا)؛ لأنَّ (لو) مِنَ القَرَائِنِ التي تُخَلِّصُ المُضَارِعَ لِمَعْنَى المَاضِي؛ إذْ كانتْ ظَرْفًا لِمَا كانَ سَيَقَعُ لِوُقُوعِ غَيْرِه...."[1].

فإذا جَاءَ بَعْدَهَا المُضَارِعُ مُسْتَقْبَلَ المَعْنَى حُمِلَ ذلك على حِكَايَةِ حَالٍ مُسْتَقْبَلَةٍ، بِغَرَضِ تَقْرِيبِها إلى السَّامِعِ، وتَصْوِيرِ أَحْدَاثِهَا المُسْتَقبَلَةِ كأنَّها جَارِيَةٌ، حَاضِرَةٌ بينَ يَدَيْ المُخَاطَبِ، وفي ذلك دَلَالَةٌ على تَحَقُّقِ الوُقُوعِ، وأنَّ المَعْنَى حَاصِلٌ لا مَحَالَةَ، فإنَّ مَا الله فاعِلُهُ في المُستقبلِ بمنزلَةِ ما كَانَ وَوُجِدَ.

صَرَّحَ بذلك العُكْبَرِيُّ في مَعْرِضِ حديثِه عن قولِ الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً** ﴾[2] فقال:" و(لو) يليها الماضي، ولكن وُضِعَ لفظُ المستقبلِ مَوضِعَه، إمَّا على حكايةِ الحَالِ، وإمَّا لأنَّ خَبَرَ اللهِ تعالى صِدقٌ، فمَا لَمْ يَقَعْ بِخَبَرِهِ في حُكْمِ مَا وَقَعَ"[3]

وقد حكى اللهُ –عزَّ وجلَّ– مَشَاهِدَ لِطَوائِفَ مِنَ النَّاسِ يومَ القيامةِ أَتَى فيها بالفِعْلِ المُضَارِعِ بعد (لو) حِكَايةً لِحَالِهِم في المُسْتَقبلِ، وتَصْوِيرًا لِحُصُولِ ذلك لهم، كأنَّه مُشَاهَدٌ رَأْيَ العَيْنِ.

([1]) البحر المحيط ٣/ ١١٤–١١٥.

([2]) سورة البقرة من الآية ١٦٥.

([3]) التبيان في إعراب القرآن ١٣٦/١ ت/ علي محمد البجاوي. وينظر أيضًا البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ١٣٣/١.

من ذلك قولُهُ تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيب﴾[1]

حيث يقولُ الإمامُ الزمخشريُّ:" و(لو) و(إذ) والأفعالُ التي هي (فَزِعُوا، وأُخِذُوا، وحِيْلَ بَيْنَهُم) كُلُّهَا لِلْمَاضِي، والمُرَادُ بِهَا الاسْتِقْبَالُ؛ لأنَّ مَا اللهُ فَاعِلُهُ في المُسْتَقبلِ بِمَنْزِلَةِ مَا قد كانَ وَوُجِدَ؛ لتحقُّقِهِ"[2].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[8]قوله

(1) سورة سبأ آية ٥١.
(2) الكشاف ١٣٣/٥.
(3) سورة الأنعام من الآية ٢٧.
(4) سورة الأنعام من الآية ٣٠.
(5) سورة الأنعام من الآية ٩٣.
(6) سورة الأنفال من الآية ٥٠.
(7) سورة الأعراف من الآية ١٠٠.
(8) سورة الأنبياء من الآية ٣٩.

تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [2]

(1) سورة السجدة من الآية ١٢.

(2) سورة سبأ من الآية ٣١. ولمزيد من الآيات ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٦٤٨/٢-٣٤٩.

٥- تَعَلَّق (رُبَّما) بفعلٍ مضارعٍ مستقبلِ المعنى.

تُسْتَعمَلُ (رُبَّ) في كَلَامِ العربِ لإفادةِ التكثيرِ كثيراً، والتقليلِ قليلاً – على الراجح–.[١]

فمِنَ الأوَّلِ ما رُوِيَ أنَّ أعرابياً سُمِعَ بعدَ انقضاءِ رمضانَ يقولُ: يا رُبَّ صَائِمِه لنْ يَصُومَه، وقائِمِه لنْ يَقومَه. والمعنى: أنَّ كثيرًا ممن صامَ رمضانَ هذا الشهرَ لن يَصُومَ مثلَه بعده، وكثيرًا ممن قامَه لن يقوم مثلَه بعده؛ بأنْ يَحْصُلَ عارضٌ يمنعه من ذلك بمرضٍ أو موتٍ.

ومن الثاني قولُ الشاعر:

أَلا رُبَّ مَولُودٍ ولَيْسَ لَه أبٌ ∴ وذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ.[٢]

وهي تَجُرُّ ما بعدها، فإذا دَخَلَتْ عليها (ما) فالغالبُ أنْ تكفَّها عن العملِ، وتُهيئَها للدخولِ على الجملةِ الفعليةِ.

وقد ذَهَبَ أكثرُ النحويينَ إلى أنَّ الفعلَ الذي تَدْخُلُ عليه (رُبَّما) أو تتعلَّق به يُشتَرَطُ فيه أنْ يكون ماضيًا ومنهم المبردُ وابنُ السراج وأبوعليّ الفارسي.

---

(١) اختلف النحويون اختلافاً واسعاً في معنى(رُبَّ) تجد طرفًا منه في: حروف المعاني للزجاجي١٤ الأزهية للهروي ٢٥٩ أمالي ابن الشجري ٣/٤٦-٤٩ رصف المباني ١٨٨ ارتشاف الضرب٤/١٧٣٧ الجنى الداني ٤٤٠ المغني ٢/٣١٩ المساعد ٢/٢٨٥ .

(٢) البيت من الطويل لرجلٍ من أزد السراة وتجده في الكتاب٢/٢٦٦ شرح التسهيل لابن مالك ٣/١٧٨ شواهد التوضيح والتصحيح ١٦٥ التذييل والتكميل ١١/١٨٢ الجنى الداني ٤٤٥ المساعد٢/٢٨٥ المغني ٢/٣٢٤ التصريح٣/٧٠ شرح الأشموني ٢/٣٤٥.

والمولود من غير أب هو سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وذي ولد من غير الأبوين هو أبونا آدم.

يقول ابنُ السَّرَّاج:" قال أبو العباس:(رُبَّ) تُنْبِئ عمَّا وَقَعَتْ عليه أنَّه قد كانَ، وليس بكثيرٍ، فلذلك لا تقعُ إلاَّ على نكرةٍ، ولأنَّ ما بعدها يَخْرُجُ مَخْرَجَ التمييز "(١).

وقال في موضعٍ آخرَ:" ولمَّا كانتْ (رُبَّ) إنَّما تأتي لِمَا مَضَى، فكذلك (رُبَّمَا) لمَّا وقعَ بعدَها الفعلُ كان حقُّه أنْ يكونَ ماضيًا".(٢)

وقال الفارسي :"ولمَّا كانت (رُبَّ) إنما تأتي لِمَا مَضَى، وَجَبَ أنْ تكون (رُبَّما) كذلك أيضًا تَدْخُلُ على المَاضِي".(٣)

واستدلُّوا على ذلك بأنَّ (رُبَّ) تأتي لإفادةِ التقليلِ أو التكثيرِ، وهذا إنَّمَا يكونُ فيمَا وَقَعَ وعُرِفَ حَدُّه وهو الماضِي، بخلاف المستقبل فإنَّه غَيْبٌ مَجْهُولٌ، لا يُمكنُ الحُكْمُ عليه بقلةٍ أو كثْرَةٍ.(٤)

وهذا الرأيُ قال به أيضًا جماعةٌ من النحويين منهم ابنُ يعيش وابنُ عصفور وابنُ أبي الربيع.

---

(١) الأصول ٤١٦/١ وهذا النص بلفظه حكاه ابنُ مالكٍ عن المبرد في شرح التسهيل ١٧٥،١٧٩/٣. والنص على مضي ما تتعلق به (رُبَّ) لم أجده في المقتضب، ولا الكامل. ينظر فهارس المقتضب للشيخ عضيمة –رحمه الله– ١٢٨/٤ وفهارس الكامل صنعة د/ محمد أحمد الدالي ٤٨١ ط/ مؤسسة الرسالة.

(٢) الأصول ٤١٩/١.

(٣) الإيضاح ٢٠١.

(٤) أمالي ابن الشجري ٥٦٥/٢ شرح المفصل لابن يعيش ٤٨٦/٤ الجنى الداني ٤٥١ التصريح ٨٧/٣.

فقد ذكر ابنُ يعيش أنَّ " حُكْم (رُبَّ) أنْ يكونَ العَامِلُ فيها ماضيًا، نحو قولك: رُبَّ رجلٍ كريمٍ قد لَقِيتُ، ورُبَّ رجلٍ عالمٍ رأيتُ؛ لأنها موضوعةٌ للتقليلِ فأوْلَوْهَا المَاضِي؛ لأنه قد يُحقِّق قِلَّتَهَا، فلذلك لا يَجُوزُ: رُبَّ رَجُلٍ عَالِمٍ سَألقَى، أو: لألقينَّ؛ لأنَّ السِّيْنَ تُفِيدُ الاستقبالَ، والنُّونَ تُفيدُ التوكيدَ، وتَصْرِفُ الفعلَ إلى الاستقبالِ"(١).

وكذلك ذَكَرَ ابنُ عُصفور أنَّ (رُبَّما):"يكونُ الفِعْلُ بعدَها ماضيًا لفظًا ومعنى، نحو: رُبَّمَا قامَ زيدٌ، أو ماضيًا معنىً خاصةً نحو: رُبَّمَا يقومُ زيدٌ، تُرِيدُ: قامَ، وأمَّا أنْ تَدْخُلَ على مُسْتَقبلٍ في اللفظِ والمعنى فلا يَجُوزُ ذلك".(٢)

كمَا ذكرَ ابنُ أبي الربيع أنَّ (ما) إذا كَفَّتْ (رُبَّ) عن العَمَلِ فإنَّه "يَجِبُ أنْ يَقعَ بعدَها الفِعْلُ الماضي، فتقولُ: رُبَّما فَعَلْتُ، ورُبَّما ضَرَبْتُ، وإذا وَقَعَ بعدَها الفعلُ المُضَارِعُ فيُرَادُ به الماضي"(٣)

فإذا وَقَعَ بعد(رُبَّ) فعلٌ مضارعٌ مستقبلُ المعنى نحو قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾(٤) حيثُ دَخَلَتْ(رُبَّ) على فعلٍ مستقبلِ اللفظِ والمعنى؛ لأنَّ الكفارَ لا يَوَدُّونَ ذلك إلاَّ في الآخرة. فقد أوَّله أصحابُ هذا الرأي على أحَدِ وجوه:

---

(١) شرح المفصل ٤٨٦/٤.

(٢) شرح الجمل ٥٠٦/١ وينظر أيضاً المقرب ٢٠٠/١.

(٣) البسيط ٨٦٦/٢.

(٤) سورة الحجر آية ٢.

الأول: أنَّ الفعلَ (يَوَدّ) وإنْ كانَ مستقبلَ المعنى إلاَّ أنَّه رَاجِعٌ إلى المُضِيّ عند التحقيق، فهو في تقديرِ:(رُبَمَا وَدَّ)، وذلك أنَّ ما يُخْبِرُ الله تعالى بكونِهِ فيما يُسْتَقبَلُ- لِصِدْقِ الوَعْدِ به وتَحقُّقِ وُقُوعِهِ- هو بمنزلَةِ المَوْجُودِ الحَاصِلِ، والمستقبلُ إذا كان مقطوعًا بحُصُولِهِ يَجرِي عند العربِ مَجْرَى الماضي، ويُخْبَرُ عنه إخبارُهَا عن الماضي، فلذلك أوقعَ(رُبَّ) في قوله تعالى (رُبَمَا يَوَدُّ) على المستقبل؛ لِيَجْرِيَ ذلك مَجرَى الداخلِ تحت المُضِيّ – مجازًا- في القُرْبِ من الوجُودِ، والتَّعرّي من الشكّ.[1]

وقد حُكِيَ عن الإمامِ الرُّمَّاني قولُه:" إنَّمَا وَقَعَ المستقبلُ هاهنا؛ لأنَّ المستقبلَ مَعْلُومٌ عندَ الله كالمَاضِي "[2]

يُؤَيّدُ ذلك أنَّ كثيرًا من الأمُورِ الأُخْرَوِيَّةِ الغَالِبُ عليها في القرآنِ ذِكْرُهَا بلفظِ الماضي نحو قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [3] وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى

---

(1) المقتصد ٨٣٥/٢ أمالي ابن الشجري ٤٩/٣ شرح الجمل لابن عصفور ٥٠٦/١ البسيط لابن أبي الربيع ٨٦٦/٢ شرح الرضي ٢٩٥/٤ الجنى الداني ٤٥٧تمهيد القواعد ٣٠٤٢/٦.

(2) حكي عنه في أمالي ابن الشجري ٥٦٥/٢ التصريح ٨٧/٣ ولم أقف عليه في معاني الحروف له .

(3) سورة النحل آية١.

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ... ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد ﴾[٣]

لكنَّ هذا الوجْهَ ضَعَّفَه ابنُ هشام قائلًا:" وفيه تَكلُّفٌ؛ لِاقتِضَائِهِ أنَّ الفعلَ المستقبلَ عُبِّرَ به عن ماضٍ مُتَجَوَّزٍ به عن المستقبلِ"[٤].

والوجه الثاني: أنه مَحْمُولٌ على حكايةِ حالٍ[٥] مستقبلةٍ، وهو لأبي علي الفارسي، حيثُ شبَّهَه بقولِه تعالى: ﴿هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[٦] مِنْ جِهَةِ أنَّه لمَّا حَكَى هذه الحالَ المَاضِيَةَ جَرَتْ مَجْرَى الحَاضِرِ فاستعملَ اسْمَ الإشارةِ (هذا) وإنْ كان المُشَارُ إليه غيرَ موجودٍ، فكذلك الفعلُ المستقبلُ (يَوَدُّ) لَمَّا نُزِّلَ منزلةَ المَاضِي مَجَازًا مِنْ جهةِ تَقرُّرِه في اليقينِ جَرَى (يَوَدُّ) مَجْرَى (وَدَّ) لأجلِ الحكاية، وجَازَ أنْ تتعلقَ به (رُبَّ).

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٤.

(٢) سورة الزمر آية ٧١، ٧٣.

(٣) سورة ق آية ٢٠.

(٤) المغني ٢/٣٣٥-٣٣٦.

(٥) ينظر في ذلك المقتصد ٢/٨٣٥-٨٣٦ أمالي ابن الشجري ٢/٥٦٥، ٣/٤٩ البسيط ١/٢٤١-٢٤٢، ٢/٨٦٦-٨٦٧ التذييل والتكميل ١١/٢٩٤ تمهيد القواعد ٦/٣٠٤٢ التصريح ٣/٨٧ .

(٦) سورة القصص آية ١٥.

يقول أبو علي: "وقد يَقَعُ المُضَارِعُ بعدَها على تأويلِ الحِكَايةِ، وذلك في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فهذه حكايةُ حالٍ تكونُ، كمَا قالَ اللهُ تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾"[1]

الوجه الثالث: أنه محمولٌ على إضْمَارِ (كانَ)، والتقديرُ: رُبَمَا كانَ يَوَدُّ.

وهذا الرأيُ لابنِ السَّرَّاجِ حيثُ يقولُ:" فإذا رَأَيْتَ الفِعْلَ المُضَارِعَ بعدَهَا فَثَمَّ إضمارُ (كان)"[2].

ونُسِبَ أيضًا للكوفيين، يقولُ ابنُ أبي الرَّبيع: "وذَهَبَ الكوفيونَ إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على إضْمَارِ (كانَ) "[3] .

يقول ابنُ الأثير:" وإذا وَقَعَ الفعلُ المضارعُ بعدَها فثمَّ إضْمَارٌ، نحو: رُبَّ رَجُلٍ يقومُ، تقديره: رُبَّ رجلٍ كان يقومُ، أو كأنه لصدقِ الوَعْدِ قد وَقَعَ"[4].

لكنَّ هذا الوَجْهَ ضَعَّفَه كثيرٌ من النحويينَ حتى مِنَ القائلين بهذا الرَّأي، فأبو علي الفارسي يقول: "ولا يكونُ هذا على إضمارِ (كان) في قياسِ قولِ سيبويه".[5]

---

(1) الإيضاح ٢٠٢

(2) الأصول ٤١٩/١.

(3) البسيط ٨٦٧/٢ وينظر أيضاً ارتشاف الضرب ١٧٤٩/٤ وحكاه الرضي في شرح الكافية ٢٩٥/٤ عن الإمام علي بن عيسى الرَّبَعِي

(4) البديع في علم العربية ٢٤٩/١.

(5) الإيضاح ٢٠٢.

مِنْ جهةِ أنَّ سيبويه يَرَى أنَّ الحُرُوفَ الطالبةَ للأفعالِ لا يُضْمَرُ بعدَها الفعلُ إلاَّ بالسَّماعِ، ولا يُقاسُ عليه، نحو قولهم:(الناسُ مَجْزِيونَ بأعْمَالِهِم إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ)، و(المرءُ مقتولٌ بِمَا قَتَلَ به، إنْ خِنْجَراً فخِنْجرٌ، وإنْ سَيفاً فسيفٌ).[1]

فـ(خِنْجَراً) منصوبٌ بإضمار فعلٍ والتقدير: إنْ كانَ خِنْجَرًا، ولا يُقَاسُ على هذا.

أمَّا إجراءُ المستقبلِ مُجْرَى الماضي فكثيرٌ، وهو قياسٌ، فلا يُعْدَلُ عنه إلى ما ليس بقياسٍ.[2]

ولِشدَّةِ ضَعْفِهِ قال عنه ابنُ الشجري:" وهو أرْدَأُ ما قيل فيه"[3]. ولا سيَّما إذا أمكنَ تخريجُه على وجهٍ لا إضمارَ فيه.

هذا وإتمامًا للفائدة فإنَّ للعلماء في زَمَنِ الفعلِ الذي تدخلُ عليه (رُبَّ) أو تتعلقُ به رأيَيْنِ آخرَيْنِ:

أحدهما: أنَّه يكون ماضيًا، ويجوزُ أن يقعَ حالًا، لكنه يمتنعُ أن يكون مستقبلًا. فهم قد قَصَرُوا المَنْعَ على المستقبلِ.

وهذا الرأي نُسِبَ إلى ابن السرَّاج استنادًا إلى أنه قَصَرَ المنعَ على المستقبل في قوله:" ولا يجوز: رُبَّ رجلٍ سيقومُ، ولَيَقُومَنَّ غداً...."[4]. وقال به أيضًا ابنُ الشَّجَري والهَرَوِي.

---

(1) الكتاب ٢٥٨/١.

(2) البسيط ٨٦٧/٢ وينظر أيضاً المقتصد ٨٣٦/٢.

(3) أمالي ابن الشجري ٤٩/٣.

(4) الأصول ٤٢٠/١ وقد نُسِبَ إليه في ارتشاف الضرب ١٧٤٢/٤ المساعد ٢٨٧/٢ حاشية الصبان ٣٤٧/٢.

حيثُ يقولُ ابنُ الشجري عن(رُبَّ):"ومِنْ أحكامِهَا: أنَّها تكونُ لتقليلِ ما مَضَى وما هو حاضرٌ دون المستقبلِ، تقول: رُبَّ رجلٍ أَخْبَرَنا بحالِهِ، ورُبَّ رجلٍ يُخْبِرُنا الآنَ، ولا تقولُ: رُبَّ رجلٍ سَيُخْبِرُنَا، ورُبَّ رجلٍ لَيُخْبِرَنَّا غداً؛ لأنَّ ما لم يقعْ لا يُعْرَفُ كَمِّيَتُه، فيُقَلَّل أو يُكَثَّر"[١]

ويقول الهَرَوي عن (رُبَّ):" ومِنْ أحكامِهَا: أنها تكون للماضي وللحالِ دون الاستقبال، تقول: رُبَّ رجلٍ قامَ، ويقومُ، ولا تقول: رُبَّ رجلٍ سيقومُ، ولَيَقُومَنَّ غدًا...."[٢].

وبالتالي فهم يوافقون أصحابَ المذهبِ الأول في أوْجُهِ تأويلِهم لِمَا جاء مستقبلَ المعنى[٣].

والآخرُ: يرى القائلون به أنَّ الأكثرَ فيما تتعلق به(رُبَّ) أنْ يكونَ ماضيًا، ويجوزُ أنْ يكونَ حالًا أو مستقبلًا. وهذا الرأيُ قال به ابنُ مالكٍ، وصحَّحَه أبو حيان، وابنُ عقيل[٤]، وابنُ هشام[٥]، وغيرُهم.

يقول ابنُ مالك: "والصحيحُ أيضًا أنَّ ما يُصَدَّرُ بـ(رُبَّ) لا يَلْزَمُ كونُه مَاضِيَ المعنى، بل يجوزُ مُضِيُّه وحُضُورُه واستقبالُه..... ومع ذلك فالمُضِيُّ أكثرُ مِنَ الحُضُورِ والاستقبالِ".[٦]

---

(١) أمالي ابن الشجري ٤٧/٣ وقد أعاد الكلام بمعناه في ٤٨/٣..

(٢) الأزهية ٢٦٠.

(٣) ينظر الأصول في النحو ٤١٩/١-٤٢٠ أمالي ابن الشجري ٤٩/٣.

(٤) المساعد٢٨٧/٢ .

(٥) المغني ٣٣٦/٢.

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح ١٦٥-١٦٦ وينظر أيضاً شرح التسهيل ١٧٩/٣.

ويقول أبو حيان:" والصحيحُ أنَّ العاملَ يكون ماضيًا في الأكثر، ويجوزُ أنْ يكونَ حالًا ومستقبلًا ".[1]

واستدلوا على ما ذهبوا إليه بالسَّمَاعِ، حيثُ وَرَدَتْ شواهدُ دخلتْ فيها (رُبَّ) على مستقبلٍ، مِنْ ذلك ما تقدَّم من قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[2]

وقول هند بنتِ عتبةَ رضي الله عنها:

يَا رُبَّ قَائلَةٍ غَدًا ∴ يَا لَهْفَ أُمِّ مُعَاوِيةِ.[3]

وقول جحدر:

فَإنْ أَهْلَكْ فَرُبَّ فَتَىً سَيَبْكِي ∴ عَلَيَّ، مُهَذَّبٍ رَخْصِ البَنَانِ.[4]

---

(1) ارتشاف الضرب ١٧٤٢/٤.

(2) سورة الحجر آية ٢.

(3) البيت من مجزوء الكامل، وهو لهند بنت عتبة زوج أبي سفيان تُدَلِّلُ ولدها معاوية رضي الله عنهم أجمعين. وتجده في شرح التسهيل لابن مالك ١٧٩/٣ شواهد التوضيح والتصحيح ١٦٦ التذييل والتكميل ٢٨٩/١١ الجنى الداني ٤٥١ المساعد ٢٨٦/٢ المغني ٣٣٦/٢ شرح أبياته ٢٠٣/٣. والشاهد فيه تعلُّق (رب) بعاملٍ مستقبل المعنى بدليل قولها: غداً.

(4) البيت من الوافر وهو لجحدر بن مالك، ويشتهر بـ(جحدر اللص) وتجده في أمالي القالي ٢٨٢/١ التوطئة ٢٤٦ شرح التسهيل لابن مالك ١٧٩/٣ شواهد التوضيح والتصحيح ١٦٦ التذييل والتكميل ٢٩٣/١١ ارتشاف الضرب ١٧٤٣/٤ الجنى الداني ٤٥٢ المساعد ٢٨٦/٢ تمهيد القواعد ٣٠٢٢/٦ المغني ٣٣٦/٢ خزانة الأدب ٢٠٨/١١ شرح أبيات المغني ٢٠٥/٣. والشاهد فيه تعلُّق (رب) بعاملٍ مستقبل بدليل قوله: سيبكي.

وقول الشاعر:

وَمُعْتَصِمٍ بالحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى ∴ سَيَرْدَى، وَغَازٍ مُشْفِقٍ سَيَؤُوبُ.(١)

وقول الشاعر:

يا رُبَّ غَابِطِنَا لو جَاءَ يَطْلُبُكُم ∴ لاقَى مُبَاعَدَةً مِنْكُم وَحِرْمَانَا.(٢)

لكنَّ هذه الأدلةَ لم يُسَلِّم بها الجمهورُ القائلُ بأنَّ ما تتعلق به (رُبَّ) يُشْتَرَطُ فيه أنْ يكونَ ماضيًا، بل حَمَلُوهَا على ما سَبَقَ من حكاية حالٍ مستقبلةٍ، أو تقدير (كان) مضمرة، وزاد بعضُهم أنَّه مِنَ الوصفِ بالمستقبلِ والعاملُ ماضٍ محذوفٍ.

فقد قال ابنُ الأثير:" ولا تقول: رُبَّ رجلٍ سيقومُ غدًا، ولَيَقُومَنَّ بعد غدٍ، إلاَّ أنْ تريد: رُبَّ رجلٍ يُوصَف بهذا. تقول: رُبَّ رجلٍ يُسِيءُ اليومَ مُحسنٌ غداً، أي: يُوصَف بهذا"(٣).

---

(١) البيت من الطويل، وهو لسليم القشيري وتجده في شرح التسهيل لابن مالك ١٧٩/٣ التذييل والتكميل ٢٩٤/١١ تمهيد القواعد ٣٠٢٢/٦ والشاهد فيه تعلُّق (رب) بعاملٍ مستقبل بدليل قوله: سيردى.

(٢) البيت من البسيط وهو لجرير ديوانه ٤٩٢ من قصيدة يهجو بها الأخطل، وتجده في الكتاب ٤٢٧/١ المقتضب ٢٢٧/٣، ١٥٠/٤ سر صناعة الإعراب ٤٥٧/٢ شرح التسهيل لابن مالك ١٧٩/٣ شرح الكافية الشافية ٩١١/٢ التذييل والتكميل ٢٩٤/١١ تمهيد القواعد ٣٠٢٣/٦ شرح الأشموني ١٨٢/٢ . والغبطة: تمني مثل حال المغبوط من غير إرادة زوالها عنه. والمعنى: رُبَّ مَنْ يغبطنا، أي يتمنى مثل ما لنا منك–فيما يزعمه ويظنه– لو عرف الحقَّ وحاولَ الوصل، لاقى منك المباعدة والحرمان كما لقينا منكِ .

(٣) البديع في علم العربية ٢٤٩/١.

وقال أبو حيان:" وأمَّا استدلالُ المصنِّف بقولِ أمِّ معاوية، فقولُهَا: (يا رُبَّ قائلةٍ غدًا) هو من الوصفِ بالمستقبلِ، لا مِنْ بابِ تعلُّقِ (رُبَّ) بما بعدها.

وأمَّا (ومعتصمٍ) فإنَّ (سَيَرْدَى)محتملٌ لأن يكون صفةً، لا متعلِّقًا بـ(ربَّ).

وأمَّا (لا أُظَلَّله) فهو من الصِّفةِ أيضًا.

وكذلك (يا رُبَّ غابِطِنا). فجميعُ ما استدلَّ به على استقبالِ ما تتعلَّق به (رُبَّ) لا دليلَ فيه"[1].

وقال ابنُ عقيلٍ عن بيت جحدر:" وخُرِّجَ على أنَّ (سَيَبْكِي) صفةٌ، والعاملُ ماضٍ محذوفٍ، أي: لم أقضِ حقَّه، بدليلِ قولِهِ بعدُ:

ولم أكُ قد قَّضيتُ حقوق قومي ∴ ولا حقَّ المهنَّدِ والسّنانِ "[2].

ويُمكنُ أنْ يُجَابَ عليهم بأنَّ تقييدَ ما تتعلَّقُ به (رُبَّ) بالوصْفِ بالمستقبل يُعدُّ من القرائنِ التي تخلِّص المعنى للاستقبال، فلم يَخْرُج الأسلوبُ عن كونِهِ مستقبلًا، والأوْلَى حَمْلُه على أنه حكاية حالٍ مستقبلةٍ.

(1) التذييل والتكميل ٢٩٤/١١-٢٩٥.

(2) المساعد ٢٨٧/٢.

٦- استعمالُ (إذْ) ظرفًا لِمَا يُستقبل.

تُستعملُ (إذ) - في الغالب- ظرفًا للزَّمَانِ المَاضِي المُبْهَمِ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[١]. وقد وَرَدَتْ شواهدُ كثيرةٌ نثرًا ونظمًا كانت فيها (إذ) دالَّةً على الزَّمَانِ المستقبلِ الخالِصِ، منها قولُه تعالى:﴿وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ﴾[٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[٤] وقوله تعالى:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾[٥]

وقولُ ورقة بنِ نَوفَل للنبي صلى الله عليه وسلم: (لَيْتَنِي أكُونُ حَيًّا إذ يُخْرِجُك قَومُك)[٦] وقولُ الشاعر:

يَجْزِيهِ رَبُّ العَالَمِينَ إِذْ جَزَى ∴ جَنَّاتِ عَدنٍ في العَلالِيِّ العُلَا[٧].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ٨.

(٢)سورة الأنعام من الآية ٢٧.

(٣) سورة الأنعام من الآية٣٠.

(٤) سورة المائدة من الآية ١١٠.

(٥) سورة مريم من الآية ٣٩.

(٦) جزءٌ من حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (١) كتاب بدء الوحي، حديث رقم(٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، (٧٣) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (١٦٠).

(٧) من الرجز لأبي النجم العجلي ديوانه ٢١٠ برواية (ثم جزاه الله عنَّا إذ جزى) وهو في الصاحبي لابن فارس ١٤٤ أمالي ابن الشجري ٦٧/١ شرح الجزولية للأبذي ٢٥٥ التذييل والتكميل ١٠٩/١، ٣١٢/٧.

==

وقولُ الأخر:

مَتىَ ينَالُ الفَتَى اليَقْظَانُ حَاجَتَه .: إذ المُقَامُ بأرْضِ اللّهوِ والغَزَلِ[1].

هذه الشواهدُ وغيرُها[2] اختلفَ النحويون في توجيهها:

فذهب ابنُ مالك وجماعةٌ منهم الرَّضِيُّ وابنُ هشام والسيوطي[3] إلى أنَّ (إذ) هنا تُفِيدُ الاستقبالَ كـ(إذا)، حيثُ يَرَوْنَ أنَّ (إذ) قد تخرُجُ عن الدلالةِ على الماضي لِتَصيرَ ظرفًا لِمَا يُستقبلُ من الزمان، فتكون بمعنى (إذا).

يقول ابنُ مالك:" وقد تقعُ (إذ) موقِعَ (إذا) كقوله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * إِذْ قَالَ اللّهُ يَاعِيسى ابْنَ مَرْيَمَ. . .** ﴾فـ(إذ) هذه بدلٌ من (**يَوْمَ يَجْمَعُ**) و(**يَوْمَ يَجْمَعُ**) مستقبلُ المعنى، فيتعيَّنُ كَوْنُ المُبْدَلِ منه في الاستقبالِ. ومثلُه قولُه تعالى: ﴿ **. . . فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ** ﴾[4]. ومثلُه قولُه تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ** ﴾[5] و ﴿**بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ** ﴾[6]

==

العلاليّ: جمع عِلِّيَّة، وهي الغُرَف العالية التي وَعَدَ اللهُ بها عبادَه المتقين.

(1) من البسيط، وهو لأبي سعيد المخزومي في الأمالي لأبي علي القالي ٢٥٩/١، وتجده في شرح التسهيل لابن مالك ٢١٣/٢ التذييل والتكميل ٣١٤/٣ تمهيد القواعد ١٩٣٧/٤.

(2) دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٤٤/١-١٤٨.

(3) الهمع ١٢٦/٢.

(4) سورة غافر من الآيتين ٧٠-٧١.

(5) وردت في آيات كثيرة منها الزلزلة ٤.

(6) سورة القصص من الآية٨٧.

ومِنْ وُقُوعِ (إذ) موقعَ (إذا) قولُ الشاعر:

مَتَى يَنَالُ الفَتَى اليَقْظَانُ حَاجَتَه ∴ إذ المُقَامُ بأرْضِ اللّهوِ والغَزَلِ"[1].

كما ذكر الرضي:" أنَّ (إذ) تكونُ للمستقبل كـ(إذا) كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ**﴾[2]"[3].

وعدَّ ابنُ هشام الأوْجُهَ التي تأتي عليها (إذ) فقال:" والوَجْهُ الثاني: أنْ تكونَ اسْمًا للزَّمَانِ المستقبلِ، نحو: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾"[4].

وجُمهورُ النحويين لا يُثبتونَ لها هذا المعنى[5]، ويَرَوْنَ أنها باقيةٌ على الغَالِبِ في استعمالِها مِنْ أنَّها ظرفٌ لِمَا مَضَى من الزمان، **ويُوجِّهون مَجِيْءَ المستقبلِ بَعْدَها على أنَّها "حِكَايَةُ حالٍ" لِمَا يَحْدُثُ في لمستقبل.**

فإنَّ ابنَ جنّي بعد ما ذَكَرَ أنَّ (إذا) قد تأتي للمَاضِي حِكَايةً للحَالِ قال:" وعَكْسُهُ في الزَّمانِ وإنْ كان نَظِيرَه في حِكَايةِ الحَالِ قولُهُ تعالى: ﴿**إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ**﴾، و(إذ) لِمَا مَضَى، وإنَّما هذا حَدِيثٌ عَمَّا يكونُ في القيامةِ، إلَّا أنه حَكَى الحالَ، قال (إذ) حتى كأنَّ المُخَاطَبِينَ بهذا حُضُورٌ للحالِ. وفي

---

(1) شرح التسهيل ٢/٢١٢-٢١٣.

(2) سورة الأحقاف من الآية ١١.

(3) شرح الكافية ٣/١٨٤.

(4) مغني اللبيب ٢/١٧.

(5) المرجع السابق.

هذا ضَرْبٌ من تَصْدِيقِ الخبرِ، أي: كَأَنَّ الأمرَ حاضِرٌ لا شَكَّ فيه، وَوَاقِعٌ لا ارْتِيَابَ به"[١].

فإنَّ "المُسْتَقبلَ إذا كانَ مَقْطُوعًا به فهو بذلك شَبِيْهٌ بالمَاضِي؛ فَوَقَعَتْ بعده (إذ) كمَا تَقَعُ بعدَ المَاضِي"[٢].

كَمَا صَرَّح أبو القاسم السُّهَيلِيُّ بأنَّ الغَرَضَ مِن التَّعبيرِ بالمَاضِي هو" تقديرُ الحِكَايةِ له إذا وَقَعَ، والإشارةُ إلى صورةِ الفعلِ إذا جاءَ وقْتُهُ، كَمَا قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ والوُقُوفُ مُسْتَقْبَلٌ لا مَحَالةَ، ولكنْ جاءَ بِلفْظِ الماضي حِكَايةً لِحَالِ يَوْمِ الحِسَابِ فيه، لا مُرَتَّبٌ على وُقُوفٍ قد ثَبُتَ"[٣].

وأجابوا عن استعمالِ (إذ) مع أنَّ المعنى على المستقبل بـ" أنَّ الأُمُور المستقبلةَ لَمَّا كانتْ في أخبارِ اللهِ تعالى مُتَيَقَّنةً، مَقْطُوعًا بها، عَبَّرَ عنها بلفظِ ما كَانَ وَوُجِدَ، والمعنى على الاستقبال"[٤]. فيكون ذلك من باب تَنْزِيلِ المستقبلِ الوَاجِبِ الوُقُوعِ مَنْزِلَةَ ما قد وَقَع؛ تَصْدِيقًا للخَبَرِ، وتَحْقِيقًا لِحُصُولِهِ، كَمَا في قولِهِ تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[٥].

---

(١) التمام في تفسير أشعار هذيل ٩٥.

(٢) البسيط لابن أبي الربيع ١٠١٤/٢.

(٣) نتائج الفكر ٩٣.

(٤) الكشاف ٣٦٠/٥ وينظر أيضًا التبيان للعكبري ١٣٦/١ الصاحبي لابن فارس ١٤٤ الجنى الداني ١٨٨.

(٥) سورة النحل من الآية ١.

فقد ذكر ابنُ الشجري أنَّ "معنى (إذ قال اللهُ) (إذ يقولُ اللهُ)، وإنما حَسُنَ إيقاعُ الماضي في موضعِ الآتي؛ لأنَّ أمرَ القيامةِ لِظُهُورِ براهينِه، وصِدْقِ المُخْبِرِ به بمنزلةِ ما وَقَعَ وشُوهِدَ"(١)

وهذا منهجٌ مألوفٌ وطريقةٌ مُتَّبعةٌ عند العَرَبِ- وإنْ كان البشرُ لا يعرفون الغيبَ- فقد ذَكَرَ ابنُ فارس أنَّ" العربَ تقولُ مِثْلَ ذا وإنْ لم تَعْرِف العَوَاقبَ"(٢).

ولم يَستبعِد الإمامُ الرَّضِيُّ إمْكَانِيَّةَ الحَمْلِ على هذا الوَجْهِ، فقال:" ويُمكنُ أنْ تكون مِنْ بَابِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾(٣)"(٤).

مِنْ دِرَاسَةِ الخلافِ في هذه المَسْأَلِةِ يتَّضِحُ أنَّ مَذْهَبَ الإمامِ ابنِ مالكٍ ومَنْ وافَقَه يَجْعَلُ المَسْأَلَةَ تَنْدَرِجُ تَحْتَ بابِ "التناوب" بين (إذ) و(إذا)، فيجوزُ عندهم أنْ تأتي (إذ) ظَرْفًا لِمَا يُسْتَقْبَلُ، فتكون بمعنى (إذا) وتَنُوبُ مَنَابَهَا ، كما يُجَوِّزُونَ أنْ تَكُونَ (إذا) ظَرْفًا لِمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ فَتَنُوبُ مَنَابَ (إذْ) ، وتَقَعُ مَوضِعَهَا.

أمَّا مَذهَبُ الجمهورِ فَيُبْقِي (إذْ) على المَشْهورِ في معناها، ويُحَافظُ على القياسِ في استعمَالِهَا، ويبحثُ عن المَعْنَى اللَّطيفِ، والمَغْزَى الدِّلَالِي مِنْ إيثَارِ اسْتِعْمَالِ (إذ) في هذه المَوَاضِعِ ظرفًا للمستقبل دون (إذا)، وهذا بلا شكّ مما يُثِيرُ النفسَ ويقدحُ الفِكْرَ.

---

(١) أمالي ابن الشجري ٦٧/١.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ١٤٤.

(٣) سورة الأعراف من الآية ٤٤.

(٤) شرح الكافية ١٨٤/٣.

الخاتمة

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كثيرًا يُوَافِي نِعَمَهُ، ويُكَافِيء مَزِيدَه، وصَلاةً وسَلامًا دائمَيْنِ على خَاتَمِ النَّبِيينَ، وخَيْرِ خَلْقِ الله أجمَعِينَ سيّدِنا محمدٍ صَلَّى الله عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ. وبعد:

فهذا ما وفَّقَنِي اللهُ – تَعَالَى– إلى جَمْعِهِ ودِرَاسَتِه مِنَ المَوَاضِعِ التي وَجَّه فيها النَّحويونَ التَّرَاكِيبَ بأنَّهَا على حِكَايةِ الحَالِ، ويُمْكِنُ الإشَارَةُ هنا إلى أَهَمِّ النَّتَائِجِ التي تَوَصَّلَ إليها البحثُ، وهي:

١– تَبَيَّنَ مِنْ خِلَالِ البَحْثِ أنَّ حِكَايَةَ الحَالِ بِنَوعَيْهَا (المَاضِيَةِ، والمُسْتَقْبَلَةِ) ثَابِتَةٌ في القرآنِ الكَرِيمِ، وكَلَامِ العَرَبِ، وأنَّ ما ذَكَرَه الإمَامُ الرَّضِيُّ– رَحِمَهُ اللهُ– مِنْ أنَّ حِكَايَةَ الحَالِ المُسْتَقْبَلَةِ مِمَّا لم يَثْبُتْ في كَلَامِهِم كمَا ثَبَتَتْ حِكَايةُ الحَالِ المَاضِيَةِ، فيه نَظَرٌ تَمَّ بَيَانُهُ في مَوقِفِ النَّحْوِيينَ مِنْ حِكَايَةِ الحَالِ.

٢– أنَّ النَّحْوِيينَ أوَّلُوا بـ(حِكَايَةِ الحَالِ) بَعْضَ الشَّوَاهِدِ التي جاءَتْ مُخَالِفَةً لِضَوَابِطِ الصِّنَاعَةِ النَّحْوِيَّةِ، مِنْ نحو: إعْمَالِ اسْمِ الفَاعِلِ بمَعْنَى المَاضِي، ومَجِيْءِ (إذ) ظَرْفًا لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِن الزَّمَانِ، ومَجِيْءِ (إذا) ظَرْفًا لِمَا مَضَى، ودِلَالَةِ المُضَارِعِ المُقْتَرِنِ بِلَامِ الابْتِدَاءِ عَلَى الاسْتِقْبَالِ، واسْتِعْمَالِ الفِعْلِ المُضَارِعِ للدِّلَالَةِ عَلَى المَعْنَى المَاضِي، ومَجِيْءِ الحَالِ ماضِيَةَ المَعْنَى مُنْقَضِيَةً قبلَ زَمَنِ عَامِلِهَا، فكانَ التَّأْوِيلُ بِهَا عَوْنًا لَهُم عَلَى اسْتِقَامَةِ القَاعِدَةِ، واطِّرَادِ القِيَاسِ النَّحْوِيّ.

٣– أنَّ حِكَايَةَ الحَالِ لهَا أثرٌ معنويٌّ في دِلَالاتِ التَّرَاكِيبِ؛ حيثُ تَقُومُ عَلَى اسْتِحْضَارِ الزَّمَانِ (مَاضِيًا أو مُسْتَقبَلًا) وافتِرَاضِهِ مَوْجُودًا، وتَخَيُّلِ أنَّه وقتُكَ

الذي أنتَ فيه، أو أنَّ المُتَكلِّمَ قد فَارَقَ زمانَه الذي يَعِيْشُ فيه، وصَارَ مِنْ أهْلِ ذلك الزَّمَانِ.

وهذا يُتِيحُ له الحَدِيْثَ عَنِ الوقائِعِ والأحْدَاثِ المَاضِيَةِ بِمَا يَدُلُّ على الحَالِ، أو الأحْدَاثِ المستقبَلَةِ بِمَا هو كَائِنٌ؛ بِغَرَضِ اسْتِحْضَارِ صُورَتِهَا، وتَقْرِيبِهَا، والإشْعَارِ بأنَّ أحْدَاثَهَا ما تَزَالُ تَجْرِي، وذلك حتَّى تَتَوَجَّهَ الأنظَارُ إلى هذه القِصَّةِ المُهِمَّةِ العَجِيبَةِ، ويَنْتَبِهَ السَّامِعُ إلى ما يُحِيطُ بها مِنْ أحْدَاثٍ، ويَسْتَعِيدَ صُورَتَهَا كَامِلَةً، ويَعِيْشُ في جَوٍّ يُشْبِهُ الجَوَّ الذي وُلِدَتْ فيه أوَّلَ مَرَّةٍ، إلى جَانِبِ الدِّلَالَةِ علَى صِحَّتِهَا، وتَأْكِيدِ حُصُولِهَا، وتَعَرِّيهَا مِن الشَّكِّ.

٤- أنَّ حِكَايةَ الحَالِ صُورَةٌ مِنْ صُوَرِ المَجَازِ اللغوي، حيثُ يُعَبَّرُ بالمُضَارِعِ أو ما في معناهُ عَنْ صُورَةٍ ماضِيَةٍ، أو يُعَبَّرُ بالمَاضِي عَن صُورَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ.

٥- أنَّ التَّوجِيهَ بِحِكَايةِ الحَالِ يَضْعُفُ إذا انْضَافَ إليها مَجَازٌ آخَرُ؛ وذلك حتَّى لا يَجْتَمِعَ في الجُمْلَةِ مَجَازَانِ، ومِنْ ذلك أنَّهم مَنَعُوا دُخُولَ (مُذْ، ومُنْذُ) علَى ما يَدُلُّ عَلَى الاسْتِقْبَالِ مِنَ المُضَارِعِ أو الأمْرِ، نحو: ما أفْعَلُ هذا مُنذُ يَقُومُ زَيْدٌ، مَحْمُولًا عَلَى حِكَايةِ الحَالِ المُسْتَقبَلَةِ، وذلك حتَّى لا يَجْتَمِعَ حَذْفُ الزَّمَنِ المُضَافِ إليه- في قَوْلٍ-، أو تَأوِيلِ المُضَارِعِ بِمَصْدَرٍ مُضَافٍ إليه- في القَوْلِ الآخَرِ-، ودِلَالَةِ المُضَارِعِ عَلَى المُضِيّ مجازًا[1].

٦- أنَّ التَّأوِيلَ بِحِكَايةِ الحَالِ لم يَكُنْ مَحَلَّ اتِّفَاقٍ في عَدَدٍ مِن المَسَائلِ بينَ النَّحْوِيينَ الذينَ يُقِرُّونَ عِلَّةَ حِكَايَةِ الحَالِ وجَوَازَ التَّأويلَ بها- مِنْ حَيْثُ المَبْدَأ-، فقدْ يَتَرَجَّحُ عند بَعْضِهِم حَمْلُ التَّرْكِيْبِ عَلَى عِلَّةٍ أُخْرَى.

([1]) شرح الجمل لابن عصفور ٦١/٢ تمهيد القواعد لناظر الجيش ١٩٧٦/٤ حاشية الصبان ٣٤٠/٢.

مِنْ ذلك أنَّ ابنَ مالكٍ والرَّضِـيّ وابنَ هشامٍ يُرَجِّحُونَ في (إذْ) حينَ تَجِيءُ دالَّةً على الزَّمَانِ المستقبلِ، أنَّها وقَعَتْ موقِعَ (إذا). ويُرَجِّحُونَ أنْ تَقَعَ (إذا) مَوقِعَهَا حينَ تَجِيْءُ ظرفًا لِمَاضٍ لفظًا ومعنىً، ولا يَحْمِلُونَ ذلك على حكايةِ الحالِ المستقبلَةِ في الأُوْلَى، والمَاضِيَةِ في الأُخرَى كما عليه جُمهورُ النحويينَ.

٧- أنَّ حِكَايةَ الحَالِ جاءَتْ في الأفعَالِ أو ما يُشبهها، أو ما يتعلق بها، أو يَختصُّ بالدّخُولِ علَيهَا، ولم تأتِ في الأسْمَاءِ إلَّا في مَوضِعٍ واحِدٍ- فيما وقفتُ عليه-، وهو استعمَالُ اسمِ الإشارَةِ للقريبِ مُشَارًا به إلى البعيدِ.

هذه هي أهمُّ النتائج التي وفقني اللهُ إليها، وأسألُه تعالَى التوفيقَ والسَّدَادَ، فإنْ أصَبْتُ فمنه وحدَه التوفيقُ، وله الحَمْدُ والمِنَّةُ، وإنْ تكن الأُخْرَى فإنّي طامعٌ في أجرِ المُجْتَهِدِ المُخْطِيءِ، والكَمَالُ للهِ وحدَه، وآخرُ دعوَانا أن الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

أهم المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان الأندلسي، تحقيق د/ رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- الاستغناء في الاستثناء لشهاب الدين القرافي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
- الأصول في النحو لابن السراج، تحقيق د/ عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الأمالي الشجرية لابن الشجري، تحقيق د/ محمود محمد الطناحى، ط/مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبى البركات الأنبارى، تحقيق د/ جودة مبروك محمد مبروك، راجعه د/ رمضان عبد التواب، ط/ مكتبة الخانجي، الأولى ٢٠٠٢م.
- الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب تحقيق د/ موسى بناي العليلي ط/ مطبعة العاني، بغداد.
- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط/ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

- البديع في علم العربية لابن الأثير، تحقيق د/ فتحي أحمد عليّ الدين، ط/ مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٢٠.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع تحقيق د/ عياد بن عيد الثبيتي، ط/ دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري، تحقيق د/ طه عبد الحميد طه، مصطفى السقا، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠-١٩٨٠.
- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- التذييل والتكميل فى شرح التسهيل لأبى حيان الأندلسي، تحقيق د/ حسن هنداوي، ط/ دار القلم دمشق، الطبعة الأولى١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، تحقيق د/ محمد كامل بركات، طبعة دار الكتاب العربى ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دراسة وتحقيق د/ عبد الفتاح بحيري إبراهيم، ط/ مطبعة الزهراء، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- التعليقة على كتاب سيبويه لأبى على الفارسي، تحقيق د/ عوض ابن حمد القوزى، ط/ مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- تفسير أبي السعود أو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم) تحقيق/ عبد القادر أحمد عطا، ط/ مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩١هـ ١٩٧١م.
- التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق د/ أحمد ناجي القيسي، د/ خديجة الحديثي، د/ أحمد مطلوب، ط/ مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ١٩٦٢م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، تحقيق د/ على محمد فاخر وآخرين، دار السلام، ط١ ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزبيدي، ط/ وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
- توجيه اللمع لابن الخباز تحقيق أ د/ عبد الله عمر الحاج إبراهيم، ط/ مكتبة المتنبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، تحقيق د/عبد الرحمن على سليمان، ط/دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادى تحقيق د / فخر الدين قباوه، محمد نديم فاضل، ط/ دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق/ يوسف محمد البقاعي، ط/ دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٣٣م.
- حاشية الشيخ يس بن زين الدين العليمي، بهامش التصريح بمضمون التوضيح للشيخ / خالد بن عبد الله الأزهري، ط/ دار إحياء الكتب العربية ،عيسى البابي وشركاه، القاهرة.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي، تحقيق/ عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
- الخصائص لابن جنى تحقيق د/ محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.
- الدر المصون للسمبن الحلبي، تحقيق د/ أحمد محمد الخراط، ط/ دار القلم، دمشق.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لفضيلة الشيخ/ محمد عبد الخالق عضيمة، ط/ دار الحديث، القاهرة.
- شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر البغدادي، ت د/ عبد العزيز رباح، د/ أحمد يوسف الدقاق، ط/ دار المأمون للتراث، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٨.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق/ محمود بن الجميل، ط/ مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، لبدر الدين بن مالك، تحقيق د/ محمد باسل عيون السود، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.
- شرح التسهيل لابن مالك تحقيق د/ محمد بدوي المختون، د/ عبد الرحمن السيد ط/ دار هجر القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- شرح حدود النحو للأبذي، لابن قاسم المالكي، تحقيق د/ خالد فهمي، ط/ مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٨م
- شرح الجزولية للأبذي، الجزء الأول، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ت د/ سعد بن حمدان الغامدي، ١٤٠٥/١٤٠٦هـ
- شرح الجزولية للأبذي، الجزء الثاني، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ت /سعد بن مشبب الأسمري، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م.
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور، الشرح الكبير، تحقيق د/ صاحب أبى جناح، بغداد ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
- شرح جمل الزجاجي لابن خروف الإشبيلي، تحقيق د/ سلوى محمد عمر عرب، ط/ جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ ٢٠٠٩م.

- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق د/ يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.
- شرح شذور الذهب للجوجري، تحقيق د/ نوف جزاء الحارثي، منشورات الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق د/ عبد المنعم أحمد هريدي، منشورات جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- شرح كتاب الحدود في النحو للفاكهي، تحقيق د/ المتولي رمضان الدميري، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي تحقيق/ أحمد حسن مهدلي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
- شرح المفصل لابن يعيش، ط/ دار الطباعة المنيرية، القاهرة.
- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لابن الحاجب، تحقيق د/ جمال عبد العاطي مخيمر، ط/ مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- العلل في النحو للورَّاق، تحقيق/ مها مازن المبارك، ط/ دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

- الكتاب لسيبويه، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون ط/ مكتبة الخانجي، القاهرة, الطبعة الثالثة١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- كتاب الشعر لأبي علي الفارسي، تحقيق د/ محمود الطناحي، ط/ مكتبة الخانجي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ١٩٨٨م.
- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط/ مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- لسان العرب لابن منظور، تحقيق الأساتذة/ عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي ط/ دار المعارف، القاهرة.
- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء العكبري، تحقيق د/غازي مختار ، د/عبد الإله نبهان, ط/ دار الفكر المعاصر, بيروت, الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- المخصص لابن سيده ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.

- المساعد علي تسهيل الفوائد لابن عقيل، تحقيق د/محمد كامل بركات, منشورات جامعة الملك عبد العزيز, مكة المكرمة سنة ١٩٨٠م.
- معاني القرآن للأخفش، تحقيق د/فائز فارس, ط/المطبعة العصرية, ١٤٠٠هـ١٩٧٩م.
- معاني القرآن للفرّاء تحقيق د/ محمد علي النجار، د/أحمد يوسف نجاتي ط/دار الكتب المصرية.
- مغني اللبيب لابن هشام، تحقيق د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت ١٤٢١هـ٢٠٠٠م.
- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية للشاطبي، تحقيق د/عبد الرحمن العثيمين وآخرين، منشورات معهد البحوث العلمية، جامعة أم القري, مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.
- مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق د/ عبد السلام هارون، ط/ دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- المقتصد في شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق د /كاظم بحر المرجان، منشورات وزارة الثقافة والإعلان العراقية، دار الرشيد ١٩٨٢م.
- المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ط/ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

- المنصف من الكلام على مغني ابن هشام (حاشية الشمُنّي)، وبهامشها شرح الدماميني على مغني اللبيب، ط/ المطبعة البهية، القاهرة.
- نتائج الفكر لأبي القاسم السهيلي، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط/ دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢.

فهرس الموضوعات.

المقدمة.

التمهيد.

١- تعريف حكاية الحال.

٢- موقف النحويين من حكاية الحال.

المبحث الأول: حكاية الحال الماضية، وفيه أَحَدَ عَشَرَ مسألةً.

١- إعْمَالُ اسمِ الفاعلِ المُجَرَّدِ من (ال) بمعنى المَاضِي.

٢- إعْمَالُ أمثلةِ المُبَالغةِ بمَعْنَى المَاضِي.

٣- استعمالُ اسمِ الإشارة للقريب مشارًا به إلى البعيد.

٤- تَوجِيْهُ قِرَاءَةِ تَشْدِيدِ الدَّالِ مِنَ المُضَارِعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:(لَولا أن تداركه نعمة من ربه).

٥- وَضْعُ الفِعْلِ المُضَارِعِ مَوضِعَ المَاضِي.

٦- عَطْفُ الفِعْلِ المُضَارِعِ عَلَى المَاضِي.

٧- استعمالُ (إذا) ظرفًا لِمَا مَضَى.

٨- إضافةُ (إذْ) إلى جملةٍ فعليةٍ فعلُها مضارعٌ.

٩- التأويلُ بالحَالِ أو المُسْتَقبلِ في نَصْبِ المُضَارِعِ ورَفْعِهِ بعد (حتى) الجارَّة.

١٠. زَمَنُ المُضَارِعِ قَبْلَ (إلاَّ) وَقَد جَاءَ بَعْدَهَا مَاضٍ مُجَرَّدٍ مِنْ (قَد).

١١- مَجِيءُ المُضَارِعِ بَعْدَ (مُذْ، ومُنْذُ) .

١٢- مَجِيءُ المضارعِ بمعنى الماضي حالًا.

المبحث الثاني: حكاية الحال المستقبلة، وفيه ست مسائل.

١- وقوعُ المضارعِ بمعنى المستقبلِ خبرًا لـ(كان).

٢- زَمَنُ المُضَارِعِ إذا دَخَلَتْ عليه لامُ الابتداءِ في خَبَرِ (إنَّ).

٣- وقوعُ الماضي خبرا لـ(لعلَّ)

٤- مَجِيءُ المُضَارِعِ بَعْدَ (لَو) الامْتِنَاعِيَّةِ .

٥- تَعَلَّق (رُبَّما) بفعلٍ مضارعٍ مستقبلِ المعنى.

٦- استعمالُ (إذْ) ظرفًا لِمَا يُستقبل.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث.

أهم المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.